

المؤامرات على الأمة... والمنح تأتي من المحن

بائعو الكلام ..
وحائزو الأوهام

التوحيد

البركة

والسبيل إليها



منزلة الأم في الإسلام

الخوارج شر الخليفة

معرض كرتونة مجلدات التوحيد



السلام عليكم

بأنعو الكلام وحائزو الأوهام

قال ابن حسان: «كان عندنا رجل فقير، وكان له أخ له مال كثير، مع بُخل وفير. فقال له أخوه الفقير يوماً: «ويحك، أنا فقير كثير العيال، وأنت غني خفيف الحمل، ولا تعينني على الزمان، ولا تؤاسيني ببعض مالك، ولا تساعدني بأي شيء؟ والله ما رأيت قط، ولا سمعت، بأبخل منك».

فقال أخوه الغني البخيل: «ويحك! ليس الأمر كما تظن، ولا المال كما تحسب، ولا أنا كما تقول في البخل ولا في اليسر. والله لو أعطاني الله ألف ألف درهم (مليون) لو هبت لك منها خمسمائة ألف درهم (نصف المليون). يا ناس! اشهدوا! هل رأيتم رجلاً مثلي يهب خمسمائة ألف درهم دفعة واحدة يقال له بخيل؟»

التحرير

فاعلم أنه لا إله إلا الله



صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق

التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت. ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس. ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت. ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام

هاتف. ٢٣٩١٥٤٥٦ - ٢٣٩١٥٥٧٦

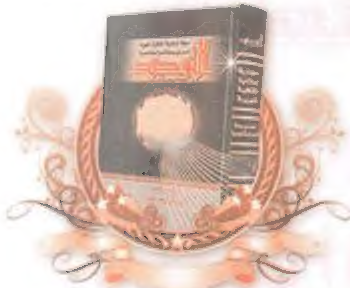
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر، يرجى مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك، للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى، لضمان وصول المجلة للمشارك في موعدها والله الموفق

تقديم للخارج الكريم كترجمة كاملة تحتوي على ٤٣ مجلدات
مع مجلدات مجلة التوحيد مع ٤٣ سنة كاملة

مفاجأة
كبرى



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش . السعودية ٦ ريالات .
الإمارات ٦ دراهم . الكويت ٥٠٠ فلس.
المغرب دولار أمريكي . الأردن ٥٠٠ فلس.
قطر ٦ ريالات . عمان نصف ريال عماني .
أمريكا دولاران . أوروبا ٢ يورو .

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية
باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد
عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية
على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها
الاسم والعنوان ورقم التليفون
٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي
أو ما يعادلها
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية
أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع
القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار
السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

في هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر
- ٦ كلمة التحرير: رئيس التحرير
- ١٠ باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي
- ١٤ القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد
- ١٧ باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق
- ٢١ درر البحار: علي حشيش
- منبر الحرمين: الدعاء .. فضائل وآداب وأحكام:
- ٢٣ د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي
- ٢٨ البركة والسبيل إليها: أحمد صلاح
- ٣٢ نظرات في مدونات الإجماع: محمد عبد العزيز
- ٣٦ واحة التوحيد: علاء خضر
- ٣٨ دراسات شرعية: متولي البراجيلي
- ٤٢ منزلة الأم: د. عماد عيسى
- ٤٦ باب العقيدة: د. عبد الله شاكر
- ٤٩ الخوارج شر الخليقة: جمال عبد الرحمن
- ٥٣ تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش
- قرائن اللغة والنقل والعقل:
- ٥٧ د. محمد عبد العليم الدسوقي
- ٦١ الداعية الصابر: عبده أحمد الأقرع
- ٦٥ باب الفقه: د. حمدي طه
- تذكير المسلمين بأهمية قضاء الدين:
- ٦٩ المستشار أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على من علمه الله الحكمة والكتاب وعلى آله وصحبه.. وبعد،
قاوِصل الحديث- في هذا اللقاء- عن موانع تكفير المعين، وقد ذكرت فيما مضى المانع الأول، وهو الجهل، أما المانع الثاني، فهو الخطأ، وقد اعتبره علماء أهل السنة مانعاً من موانع إطلاق التكفير على المعين، والخطأ هو، ضد الصواب، وهو الأمر الذي لم يتعمده الفاعل.

وفي لسان العرب: «المخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره». (لسان العرب: ٦٦/١، ٦٧).

ومن نعمة الله على هذه الأمة أن عصمها من أن تجتمع على خطأ أو ضلالة، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا يجمع أمتي- أو قال: أمة محمد- على ضلالة، ويد الله على الجماعة». (صحيح سنن الترمذي ٢/٢٣٢).

ويفهم من الحديث أن أحاد الأمة غير معصومين من الخطأ، كما في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون». (وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/٣٠٥).

وقد وردت نصوص قرآنية ونبوية دلت على رفع المؤاخذة عن المخطئ وإعذاره فيما وقع فيه ومن ذلك، قول الله تبارك وتعالى: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن سَيِّئًا أَوْ نَاسِيًا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا أَوْرَاسَنَا كَمَا كُنْتُمْ عَلَى الْبِرِّ مِن قَبْلَ». (البقرة: ٢٨٦). وهذا دعاء من المؤمنين وتضرع لربهم حتى لا يؤاخذهم بالنسيان والخطأ، وقد استجاب الله دعاءهم، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: «وَأَن تُبْذَرُوا مَا فِي الْأَرْحَامِ أَوْ تَحْمَلُوهَا أَوْ يُولَاجُوهَا فِي الْأَرْحَامِ» (البقرة: ٢٨٤)، قال: دخل قلوبهم منها شيء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا». قال: فالتقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: «لَا يَحْمِلُ اللَّهُ قَسْرًا وَلَا زُجْرًا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن سَيِّئًا أَوْ نَاسِيًا». (البقرة: ٢٨٦)، قال: قد فعلت. (رواه مسلم: ١٦٦).

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: «وفعلاً قد عفا عنهم في النسيان والخطأ، وخفف عنهم في



افتتاحية العدد

موانع تكفير المعين

الحلقة الثانية

بقلم / الرئيس العام

د/ عبد الله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

التشريع». (أيسر التفاسير ١/ ٢٨٠).

وقد فرقت النصوص القرآنية بين قتل العمد

وقتل الخطأ، فقال تعالى في العمد: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصِيكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»

(النساء: ٩٣). وقال في الخطأ: «وَمَا كُنْتَ بِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَقْبَرِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا»

(النساء: ٩٢)، ويلاحظ الفرق الكبير بين العمد والخطأ في الإثم والوعيد والأحكام المترتبة على كل، وسبب نزول الآية يدل على ذلك، وقد ذكر ابن كثير عن مجاهد وغيره أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخى أبي جهل لأمه، وذلك أنه قتل رجلاً كان يعذبه مع أخيه على الإسلام، وهو الحارث بن يزيد الغامدي، فأضمر له عياش السوء، فأسلم ذلك الرجل وهاجر وعياش لا يشعر، فلما كان يوم الفتح رآه، فظن أنه على دينه، فحمل عليه فقتله، فأنزل الله هذه الآية. (تفسير ابن كثير ١/ ٧٣٤).

وقال القاسمي: «أي: ما جاز ولا صح لمؤمن قتل أخيه المؤمن، فإن الإيمان زاجر عن ذلك، إلا على وجه الخطأ، فإنه ربما وقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية». (تفسير القاسمي ١٤٤٢/٥).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». (صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٣٤٨).

وقد ذكر الإمام النووي هذا الحديث في الأربعين، وشرحه ابن رجب وذكر كلاماً نفيساً حوله وضمنه بعض الأحكام التي يحسن ذكر بعضها هنا، منها قوله: «الخطأ: هو أن يقصد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ما قصده، مثل: أن يقصد قتل كافر فصادف قتله مسلماً، والنسيان، أن يكون ذاكر الشيء فينساه عند الفعل، وكلاهما معفو عنه، يعني: لا إثم فيه، ولكن رفع الإثم لا ينال في أن يترقب على نسيائه حكم، كما أن من نسي الوضوء وصلى ظاناً أنه متطهر فلا إثم عليه بذلك، ثم إن تبين له أنه كان قد صلى بغير طهارة فإن عليه الإعادة». (جامع العلوم والحكم ص ٥٥٨).

قلت، وهذا تماماً ما ذكرته الآية السابقة في حكم قتل الخطأ، فإن الخطأ مع رفعه إلا أن الآية أوجبت كفارة على هذا الخطأ كما ذكر فيها، وقد عذر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي نطق بكلمة الكفر مخطئاً بسبب شدة فرحه، كما أخرج مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لله أشد فرحاً بتوبة أحدكم حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فأنفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة يضيع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، وأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح». (مسلم: ٢٧٤٧).

فهذا الرجل قال كلمة كبيرة عظيمة عندما نسب الربوبية لنفسه، والعبودية لربه، وهذا كفر صريح، ولكنه هنا لا يكفر لخطئه وعدم قصده. يقول ابن تيمية: «وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض، بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس كل من يترك بعض كلامه لخطأ خطئه يكفر ولا يفسق، بل ولا ياثم، فإن الله تعالى قال في دعاء المؤمنين: «رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا». وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قال: قد فعلت». (مجموع الفتاوى ١٠٠/٣٥).

وأود التنبيه هنا إلى أمر مهم وهو: أنه يجب على العبد بذل الوسع والطاقة في اتباع القرآن والسنة مع حسن القصد وسلامة النية والحرص على الطاعة، فإن أخطأ بعد ذلك فهو معذور - إن شاء الله -، وفي ذلك يقول ابن تيمية: «فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والإيمان مثلاً، أو لتعديده حدود الله بسلوك السبل التي نهى عنها، أو لاتباع هواه بغير هدى من الله، فهو الظالم لنفسه، وهو من أهل الوعيد، بخلاف المجتهد في طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا مغفور له خطؤه». (مجموع الفتاوى ٣/ ٢١٧).

وقال ابن الوزير رحمه الله: «ولذلك أجمعت الأمة على العفو عن المجتهدين من أئمة العلم في معرفة أحكام الدماء والقتل في الحدود والقصاص في مسائل الفروع المختلف فيها المعمول فيها بأقوالهم كالخلاف في قتل تارك الصلاة وقتل الحر بالعبد ونحو ذلك، حيث لم يكن الهوى سبب اختلافهم وظهر منهم التحري في الصواب، وبذل الجهد في تعرفه وتوفية الاجتهاد حقه». (إيثار الحق على الخلق ص ٤١٤).

ويمكن أن يستدل على ذلك بما جاء في قوله تعالى: «أَشْرَفُمْ لَا لِأَنَّهُمْ هَرَاقَتْ عَنْهُ اللَّهُ فَإِنْ لَمْ تَحْمِلُوا أَيْبَاءَهُمْ فَمَا تَزِدُّكُمْ فِي الذُّلِّ وَمَا يَكُنْ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» (الأحزاب: ٥)، فالآية بينت أن الله رفع الحرج والإثم عن المخطئ بخلاف المتعمد.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ» (الأحزاب: ٥). أي: إذا نسبتهم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ، بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع، فإن الله قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمهم. (تفسير ابن كثير ٦٣٣/٣).

وقد دلت السنة النبوية على أن العبد إذا قام بفعل مشروع نافع له، ولكنه وضعه في غير موضعه خطأ فإنه يؤجر ويثاب كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، قال: اللهم لك الحمد على زانية. لا تصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني، قال: اللهم لك الحمد على غني. لا تصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، وعلى غني، وعلى سارق. فأتى فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت، أما الزانية فلعلها تستغف بها عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستغف بها عن سرقة». (مسلم: ١٠٢٢).

وقد بوب لهذا الحديث بقوله: «باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد فاسق ونحوه». قال النووي: «وفيه ثبوت الثواب في الصدقة وإن كان

الآخذ فاسقاً». (شرح النووي على مسلم ١١٠/٧).

والحديث دليل صريح وواضح في أن المخطئ معذور مأجور على فعله بعد بذل الجهد في اتباع الحق وتحريره، وهذا لا يكون إلا لمن كانت أصولهم صحيحة وعلى منهج أهل السنة والجماعة، أما أهل الأهواء والبدع فلا عذر لهم ولا كرامة، وقد درج أئمة أهل العلم على ذلك، وللحافظ الذهبي رحمه الله كلام دقيق حول هذا المعنى ذكره في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وفيه يقول: «وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، والكمال للرسول، والحجة في الإجماع، فرحم الله امرأ تكلم في العلماء بعلم، أو صمت بحلم، وأمعن في مضايق أقوالهم بتؤدة وفهم، ثم استغفر لهم ووسع نطاق العذرة، والا فهو لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، وإن أنت عذرك كبار الأئمة في معضلاتهم، ولا تعذر ابن تيمية في مفرداته، فقد أقررت على نفسك بالهوى وعدم الانصاف، بل مسائله المقررة يحتج لها بالقرآن أو بالحديث، أو بالقياس ويبرهنها وينظر عليها، وينقل فيها الخلاف، ويطيل البحث أسوة بمن تقدمه من الأئمة، فإن كان قد أخطأ فيها فله أجر المجتهد من العلماء، وإن كان قد أصاب فله أجران، وإنما الذم والمقت لأحد رجلين: رجل أفتى في مسألة بالهوى ولم يُبدِ حجة، ورجل تكلم في مسألة بلا علم، ولا توسع في نقل، فعنود بالله من الهوى والجهل». (تاريخ الإسلام للحافظ للذهبي ٢٢٥/٥٣).

ويقرر الإمام ابن القيم ذلك بفقده ووضوح، فيقول: «ولا يد من أمرين أحدهما أعظم من الآخر، وهو النصيحة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه ودينه، وتنزيهه عن الأقوال الباطلة المناقضة لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الهدى والبيان».

والثاني: معرفة أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا بملغ علمهم والحق في خلافها لا يوجب اطراح أقوالهم جملة، وتنقصهم والوقية فيهم. فهذا طرفان جانبان عن القصد، وقصد السبيل

بينهما، فلا تؤثم ولا نعصم، ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدر صالح وأثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل وما جوبٍ باجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين.. (إعلام الموقعين ٢/٣٩٤، ٢٩٥).

ولعل القارئ الكريم يلحظ من كلام هؤلاء الأئمة الأعلام أن المخطئ لا يتابع على خطئه، بل يجب أن يبين الحق له مع رعاية مكانته وقدره إن كان من أئمة المسلمين وعلمائهم.

وأختم حديثي هذا بقول العلامة صالح الفوزان - حفظه الله -، «ناخذ من أقوال العلماء والفقهاء ما وافق الدليل من كتاب وسنة، ونترك ما خالف الدليل، ونعتذر للعلماء في خطئهم ونعفيهم قدرهم ولا ننقصهم، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد»، أما الجاهل أو المبتدئ في طلب العلم، فهذا ليس له اجتهاد، ولا يجوز له أن يجتهد، وهو آثم باجتهاده أخطأ أو أصاب، لأنه فعل ما ليس له فعله.. (الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة ص ٤٧، سؤال رقم ٢٥).

المانع الثالث العجز

الشرعية الإسلامية مبناها على اليسر ورفع الحرج والتكليف فيها مرتبط بالاستطاعة، كما قال: «لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِذْ دَسَمَهَا» (البقرة: ٢٨٦)، وقال تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ يَخْفَئُ الْقِسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْقِسْرَ» (البقرة: ١٨٥)، ومن هنا كانت الأحكام الشرعية في حالة الاضطراب مختلفة عن حالة السعة والاختيار، وهذا من حكمة أرحم الراحمين.

وعليه أقول: من عجز عن شيء من الأحكام ولم يتمكن من الإتيان به فهو معذور ولا يؤخذ بتركه، وقد فرق القرآن الكريم بين المستطيع والقادر، وغير المستطيع العاجز، كما قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْهُمُ النَّفْسُ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُتَضَلِّينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَبِمَعْرِفَةِ اللَّهِ غَالِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ بِذُلٍّ وَوَسِعَتْ عَلَيْهِمْ ذُنُوبُهُمْ قَالُوا إِنَّا تَوَلَّيْنَاكُمْ وَإِنَّا أَتَيْنَاكُمْ وَلَكِنْ نَسُوهُنَّ عَنِ الِذِّكْرِ وَاللَّهُ مُنْظِرٌ لِلْعَالَمِينَ» (الأنعام: ١١٠).

حِجَّةٌ وَلَا يَجِدُونَ سَبِيلًا (٧) فَأُولَئِكَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَفْعُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا (النساء: ٩٧-٩٩). قال ابن كثير: «إلا المستضعفين، إلى آخر الآية، هذا عذر من الله لهؤلاء في ترك الهجرة، وذلك أنهم لا يقدرُونَ على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدرُوا ما عرفُوا يسلكون الطريق، ولهذا قال: «لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً»، وقوله تعالى: «فَأُولَئِكَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَفْعُو عَنْهُمْ» أي: يتجاوز الله عنهم بترك الهجرة، وعسى من الله موجبة. (تفسير ابن كثير: ٧/٤٦٦).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «في الآية الكريمة دليل على أن من عجز عن المأمور من واجب وغيره فإنه معذور، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد: «ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج»، وقال في عموم الأوامر: «فاتقوا الله ما استطعتم»، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أمرتكم بأمر، فاتوا منه ما استطعتم..» ولكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده، وانسدت عليه أبواب الحيل. (تيسير الكريم الرحمن ١٣٩/٢).

ويقول ابن تيمية: «والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله والقدرة على العمل به، فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعض، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله: «كمن انقطع عن العلم بجميع الدين، أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلاً..» (مجموع الفتاوى ٥٩/٢٠).

ويقول في موطن آخر: «فمن ترك بعض الإيمان الواجب لعجزه عنه، إما لعدم تمكنه من العلم، مثل ألا تبليغه الرسالة، أو لعدم تمكنه من العمل، لم يكن مأموراً بما يعجز عنه، ولم يكن ذلك من الإيمان والدين الواجب في حقه، وإن كان من الدين والإيمان الواجب في الأصل، بمنزلة صلاة المريض، والخائف والمستحاضة وسائر أهل الأعداء الذين يعجزون عن إتمام الصلاة، فإن صلاتهم صحيحة بحسب ما قدرُوا عليه..» (المرجع السابق: ص ٤٧٨، ٤٧٩).

وللحديث صلة إن شاء الله تعالى.

الحمد لله الكبير المتعال، له الحمد على كل حال.
وله الشكر يا قُدُّو والأصاَل، وبعد،

لعل المسلمين في شأنا هذه العصور المتأخرة هم أكثر
الناس الأما، وأوسعهم جراحا، ولعل أرضهم وديارهم
وأموالهم هي التي يستنسر بها البقا، وتستأسد
الجمهر، والمسلمون مع ذلك يتجرعون هذه الجراحات
في صياصيتهم وهم لا يكادون يسيقونها، ويحملون
معا أثقالا إلى أثقالهم، إنهم يدعون إلى الاستكانة
والاستجداء دعاء، ولتتأذقهم مضارب القابليين.

والأمة ما زالت تتعرض للمؤامرات الشرسة من الداخل
والخارج في مسلسل متناغم لتفتيت كيان الأمة، وهدم
ثوابتها، والهجمة الشرسة التي يتعرض لها الأزهر
الشريف، من أصحاب القلوب المريضة، والأهداف الخبيثة،
يراد منها تشويه هذا الصرح الإسلامي، الذي يشع بإطلالته
الإسلامية الوسطية السمحة على العالم أجمع، تعدت هذه
الهجمة الأزهر الشريف إلى الطعن والتجريح في ثوابت هذا
الدين، ومذاهب أهل السنة والجماعة المجسدة لهوية الأمة
الإسلامية، والدعوة إلى إحراق هذا التراث، وإهانة الأئمة
والأعلام العدول الذين أسهموا في إبداءه، وحرب شرسة على
الإسلام وتراثه الفكري، تحالفت فيها تيارات فكرية علمانية
وماركسية، وأصحاب أفكار وعقائد مشبوهة، وقضايات
وصحف ومجلات في هجومها على الأزهر الشريف في مؤامرة
دنيئة يراد منها هدم ثوابت الأمة، في نفس الوقت الذي
تشعل فيه أطراف المؤامرة وتنتشرها في كل البقاع الإسلامية
من سوريا إلى العراق، ومن اليمن إلى ليبيا، وصراع تركي
إيراني في غيبة العرب لتقاسم النفوذ، وتقلب لغة المصالح
لتفتيت تلك الدول، واشعال نيران الحروب والتطهير العرقي
الذي يأتي منسجما مع خطة التطهير والتقسيم الموضوعة
بليل، ومؤامرة التقسيم في الشرق الأوسط تبدو خيوطها
واضحة قيد التنفيذ، والهدف شرق أوسط مفتت!! ودويلات
تتصارع وتتقاتل حتى تصبح هشيما يذروه الرياح!! وأنا لله
وأنا إليه راجعون!!

الهجوم على الأزهر الشريف.. وثوابت الدين العنيف

لا شك أن المفسدين في كل عصر هم أعوان إبليس، وجنده من
الإنس والجن، يسيرون على دريه ويقفون أثره، وينتهجون
سيرته في إفساد بني آدم، حيث يتعرض الأزهر الشريف لهجمة
منهجة من أعداء الدين والوطن المغرضين لهدم الأزهر الذي
يمثل الحصن الحصين للمسلمين في مشارق الأرض ومقاريها.
ففي ظاهرة غير مسبوقة يتعرض الأزهر الشريف في



مؤامرات على الأمة... ومنح تأتي من المحن

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الرجد

جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ - العدد ٥٣٣ - مجلة الخامسة والأربعون

السنوات الأخيرة لحملة شرسة، تجاوزت تحميلة- ظلماً وعدواناً- مسئولية بروز ظاهرة العنف العشوائي التي تروع الأمنين، وتستخدم القوة لفرض الآراء، وتجاوزت ذلك إلى تجريح ثوابت الإسلام، والطعن في التراث الفكري والحضاري، الذي جعل من أمتنا العالم الأولى على ظهر هذه الأرض لأكثر من عشرة قرون، والذي استهلته أوروبا في بناء نهضتها الحديثة.

إن هذه الحملة الضاللة تأتي نتاجاً لبروز ظاهرة «الإسلام فوبيا» في الغرب حتى كأنها جناحان لنزعة كراهية الإسلام وتشويه صورته، وتزييف تراثه الذي كان الأزهر ولا يزال حارسه الأمين على امتداد تاريخ هذا المعهد العريق، ولقد تجاوز الأمر كل ألوان النقد إلى الطعن الفج في ثوابت التراث، ومذاهب أهل السنة والجماعة المجسدة لهوية الأمة، وتميزها الحضاري، بالدعوة إلى إحراق هذا التراث وإهانة الأئمة الأعلام العدول الذين أسهموا في إبداعه وفي حمله جيلاً بعد جيل.

وتقف وراء تلك الحملة فضائيات تصف كتب التراث الإسلامي التي قامت على خدمة الكتاب والسنة بأنها كتب «النفائات البشرية»، التي مثلت لعنة حلت على الأمة، والتي يجب حرقها ودفنها، ومجلات ثقافية تنهم أئمة الإسلام بأنهم أئمة الثقافة التكفيرية، وتعد الأئمة كاشافعي ومالك وأبي حنيفة وأبي حنبل والبخاري والشهرستاني، وأمثالهم في زمرة التكفيريين!!

إن تلك الحملة الشرسة التي يقودها فريق من الكارهين للأزهر الشريف، من أصحاب التيارات التي تتمنى

أن ينقلب الشرق يوماً إلى جزء من الغرب يحاكي ثقافته وحضارته وقيمه التي لا يُراعى فيها دين ولا خلق، وهؤلاء لا يكون قليلاً ولا كثيراً على الفسوق العلمية والتكنولوجية والسلوكية بيننا وبينهم، ويعتبرون أن الأزهر هو العقبة الكئود التي تقف في طريق تحقيق أحلامهم.

وهناك فريق آخر يتشدد في التدين، ويرى أن الأزهر بوسيطته لا يحقق الصورة التي يُخلم بها من طريقة التدين، وهي طريقة هُرض أمور على الناس تنحصر في الشكليات لا أكثر ولا أقل، ولا يعنيه العلم ولا تقدم المسلمين ولا قوتهم ولا اقتصادهم، ومن ثم فكلاهما مُفرط ومُفرط يرون أن الأزهر حجر عثرة في سبيل تحقيق أحلامهم المريضة؛ لأن المتشدد لا يقل في أحلامه مرضاً عن التميع الذي يريد أن يميع المجتمع، وكلا الفريقين خطرٌ على الإسلام، وعلى وسطيته، والأزهر هو ضمير الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً على مدار ما يزيد على الألف عام شاء هؤلاء المتطرفون والتميعون أم أبوا.

والنبي صلى الله عليه وسلم حذرنا من اتباع الآراء الشاذة، وأمرنا بما يوافق الشرع، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، غُضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

أولى سبغاله بقدر الحق والابتلاءات ليظهر علمه للناس

وقد سبقت كلمة الله التي لا مرد لها ولا مخالف أن عباده المدافعين عن الحق هم الغالبون لغيرهم.

المنصورون من ربهم نصراً عزيزاً، يتمكنون فيه من إقامة دينهم، إلا أنه سبحانه قدّر محناً وابتلاءات ليظهر علمه في الناس، فيجازيهم بما ظهر منهم في عالم الشهادة، لا بما يعلمه سبحانه في عالم الغيب، لأنهم قد يحتاجون على الله بأنهم لو ابتلوا لثبتوا، لذلك قال سبحانه وتعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ» (محمد: ٣١).

قال ابن عباس: «حتى نعلم أي: حتى نميز»، وقد صدق رضي الله عنه، فالابتلاء بالسراء والضراء، وبالنعماء والبأساء، وبالسعة والضيق، وبالفرج والكرب... كلها مواقف وحالات تكشف عما هو مخبوء من معادن النفوس، وما هو مجهول من أمرها حتى لأصحابها، فالفتن كاشفة كما يقول الحكماء.

ومما لا شك فيه أن الكارهين للإسلام الحاقدين على أهله مهما كتموا حقدهم وأخفوا كرههم فإن الله تعالى مُحطعٌ أهل الحق على بعضه، قال تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ» (محمد: ٢٩)، وهذا ظنٌ لا يليق بحكمة الله عالم الغيب والشهادة الذي يَعْلَمُ السِّرَ وأخفى، بل سيوضح أمرهم ويفضح شأنهم حتى يفهم ذوو البصائر، فإنه ما أسر عبدٌ سريرة إلا أبداه الله على صفحات وجهه، وفتلت لسانه، وما أسر أحدٌ سريرة إلا كساه الله رداءها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

فمن قُتِلَ من رحمته، وأيس من روحه، فقد ظنَّ به ظنُّ السوء.

جرس الإنذار، فثورة العرب على حوريا، وخطة التقسيم والتجهيز !!
تتابع المؤامرات على الأمة من الداخل والخارج، فبينما تجري

خطة تقسيم سوريا بموافقة صريحة من نظام الأسد العلوي، ويدعم عسكري مباشر من إيران وروسيا، وتخطيط أمريكي، والخطة ليست جديدة على نظام الأسد، وطالما وصفها المراقبون بالخطة البديلة لديه في حال لم يستطع استعادة السيطرة على كامل سوريا، وتتضمن تقسيم سوريا إلى خمس دويلات جديدة، ودولة شيعية، ودولة كردية، كما سيؤدي التقسيم إلى استحداث دولة لبشار الأسد يطلق عليها دولة العلويين، أما الدولة السنية فالأرجح أنها ستتقسم إلى قسمين، القسم الأول، يمثل تنظيم داعش في المناطق الخاضعة له في كل من سوريا والعراق، بينما الجزء الثاني ستمثله جبهات المعارضة السورية المسلحة.

وقد بدأ الخطر بسياسة التهجير التي اتبعتها الأسد بشن حملته العسكرية في شهر يوليو من العام الماضي بمساندة الميلشيات الشيعية، والحرس الثوري الإيراني ومقاتلي حزب الله لمحاصرة السنة في ريف دمشق وحمص والحدود اللبنانية وتهجيرهم، في محاولة لتوزيع ديمجرلي جديد بعد أن دمروا المدن عن بكرة أبيها، وحرقوا الأراضي الزراعية، وقطعوا أشجارها، وتم تهجير أهالي البلدان من ذات الأغلبية السنية من مدنها، وتضييق الخناق عليهم، وقد تم تهجير نحو ٤٠ ألفاً من السنة في ريف دمشق إلى مضاي، وقد خضعت البلدة لحصار قاس ومستمر منذ أكثر من ستة أشهر، ومن قبل مضاي كانت مدينة الزبداني، والقصير وغيرها، وكلها بلدات تولى حزب الله السيطرة عليها مع قوات النظام السوري في مخطط واضح ومؤامرة مدعومة من قوى الظلام في الغرب وأمريكا وإيران وروسيا لإيجاد

شريط ممتد من دمشق حتى حمص وحماة وصولاً إلى اللاذقية يخلو من وجود أهل السنة!!

ويعلن الأسد الخطة على الملأ، ففي إحدى اللقاءات التليفزيونية حيث قال: «إن الوطن ليس لمن يسكن فيه، ويحمل جواز سفره، وإنما لمن يدافع عنه ويحميه».

وتعتبر إيران اللاعب الأكبر في هذه اللعبة، إذ إنها تخطط لبشار الأسد، وتقدم له الدعم الكامل من مقاتلين وأسلحة زعمًا بأن سوريا من المحافظات الإيرانية!!

فائز العرب في سوريا ٣٥ مليار تدهما دول المنطقة

ناقوس الخطر ينذر بإفناذ المؤامرة، وتخريب اقتصاديات دول الجوار العربية، تنفيذاً لخيط المؤامرة العنكبوتية إذ أعلن البنك الدولي في تقديرات نشرها عن أن التكلفة الاقتصادية للحرب في سوريا وانعكاساتها على دول المنطقة بلغت ٣٥ مليارات دولار، وتشمل هذه التكلفة خسائر الاقتصاد السوري وخمس دول مجاورة هي العراق ومصر ولبنان والأردن وتركيا، التي تأثرت بدرجات متفاوتة مباشرة من النزاع السوري الذي خلف نحو ٢٦٠ ألف قتيل في خمس سنوات، ولا تشمل هذه التكلفة الموارد التي خصصتها دول الجوار لسوريا لتقديم الخدمات الأساسية والمعيشية للاجئين الذين تدفقوا خصوصاً على لبنان والأردن بحسب تقرير البنك الدولي.

وقدر البنك الدولي تكلفة اللاجئين سنوياً على لبنان وحدها بـ ٢,٥ مليار دولار، وقال التقرير: إن أغنى مصدري البترول في المنطقة وهم السعودية وقطر والكويت والإمارات لديهم احتياطات كبيرة تمكنهم من مواجهة العجز خلال السنوات المقبلة، ولكن

بتدني الإيرادات لانخفاض أسعار البترول فإن تلك الدول قد تستنفد احتياطاتها بحلول نهاية هذا العقد.

الصراع الإيراني التركي .. وسط غيبية العرب!!

وفي مقال نشرته جريدة القدس العربي بعنوان: «أين العرب من الصراع التركي الإيراني في العراق؟»، قالت فيه: إن موقف تركيا هو ما يخلق إيران وحلفاءها الطائفيين، بما فيه الحليف الطائفي الجديد بوتين، الذي يدعي تخوفه مما يسميه «الإرهاب الإسلامي» في روسيا والقوقاز والشيشان وغيرها، وهو بذلك يكشف عن تحالفه الطائفي مع إيران ضد المسلمين السنة في تلك البلاد.

وقال الكاتب: إن إيران تنظر إلى العراق كجزء من الإمبراطورية الفارسية أولاً، وتنتظر لها كمعبر رئيس إلى مناطق نفوذها المستقبلية، سواء إلى جنوب العراق في الجزيرة العربية أو إلى غربه في بلاد الشام، وإلى شماله في تركيا، والمناطق السنية العربية في محافظة ديالي هي المعبر الرئيس للسيطرة على العاصمة العراقية بغداد، التي من خلالها تهيمن على القرار العراقي بالكامل، ولذلك فإن إيران وفيلق الحشد الشيعي التابع للحرس الثوري الإيراني يحارب بكل قسوة ضد تمكين أهل السنة في المستوى السياسي أولاً، وضد التمكين في المستوى العسكري ثانياً، ولذلك تتلاعب إيران بكل التركيبة السياسية في العراق وحكومته، فوزير الدفاع العراقي السني لم يستطع منع الحشد الشيعي من دخول ديالي والمقدادية، فضلاً عن أن يستطيع منعها من ارتكاب الموبقات وانتهاك الحرمات فيها ضد أهل السنة، وذلك لأن إيران لا تسمح له إلا أن يكون وزيراً على الورق، وأمريكا تعلم ذلك

من خلال التفاهات مع المصالح الإيرانية.

إن دعم العرب السنة في العراق يتبعي أن يكون مسئولية العرب أولاً، والاتراك ثانيًا، وكل المسلمين السنة في العالم ثالثًا، ولا بد من استعادة العراق، ووقف تنفيذ باقي أطراف المؤامرة!!

النجيفي يؤكد على الدور الإيراني البحث في العراق

وتأكيدًا على الدور الإيراني الخبيث في العراق يكشف مسئول عراقي سابق عن معلومات مهمة بشأن سقوط مدينة الموصل العراقية في بيد تنظيم داعش، مؤكداً على الدور الإيراني الخبيث وتهديداته للمساومة على المدينة قبل سقوطها. فقد أكد رئيس البرلمان العراقي السابق أسامة النجيفي أن مسئولاً إيرانياً هدده قبل سقوط مدينة الموصل شمالي العراق في يد التنظيم في يونيو ٢٠١٤م بأربعة أيام، إما بالتعاون مع طهران، أو أن تسقط المدينة في يد تنظيم الدولة الداعشي.

وأوضح في مقالة نشرت له، «إن مسئولاً بحزب الله ساومه أيضاً على دور لإيران في العراق مقابل تحرير الموصل من تنظيم الدولة.

ورفض النجيفي وهو شقيق محافظ نينوى المقال مؤخراً أشيل النجيفي، أن تدخل الحشد الشيعي في عملية استعادة الموصل، مؤكداً أن السياسة الطائفية للحكومة العراقية كانت سبباً في سيطرة داعش على الموصل.

عدم وجود مراجع فكرية للعديد من داعش قال مرصد الأزهر الشريف في أحدث تقاريره: «إن هناك تزايداً في أعداد المنشقين عن داعش، والعائدين لأوطانهم، نتيجة خيبة أملهم في التنظيم الإرهابي بعد أن عاينوا

سلوكه على أرض الواقع، وإن المعالجة الأمنية والقانونية والقضائية هي المسيطرة على الدول الأوروبية، في تعاطيها مع قضية اللاجئين إلى أوطانهم، مشيراً إلى عدم وجود أي مراجعات فكرية وفقهية للعائدين بهدف تصحيح مسارهم الفكري».

وأوضح المرصد في تقريره أنه لا يقتصر الانضمام لتنظيم داعش على الشباب المسلم في دول الشرق العربي الإسلامي فحسب، بل إن هناك أعداداً كبيرة من شباب أوروبا وأمريكا يلتحقون بهذا التنظيم الإرهابي للقتال بين صفوفه، أو تقديم الدعم الفني والإعلامي واللوجستي، وتحتل أوروبا الغربية المرتبة الثالثة بين أكثر المناطق الجغرافية طرداً للمتطرفين المنضمين إلى داعش بتعداد وصل إلى ٥٠٠ مقاتل نهاية ٢٠١٥م، بينما تأتي منطقة الشرق الأوسط والغرب العربي في المرتبتين الأولى والثانية، أما على مستوى الدول فتأتي تونس كأعلى دولة من حيث عدد المقاتلين المنضمين إلى داعش منها بتعداد وصل ٦٠٠٠ مقاتل، ثم السعودية ٢٥٠٠ مقاتل، ثم روسيا ٢٤٠٠، ثم تركيا ٢١٠٠، ثم الأردن ٢٠٠٠، وعلى مستوى أوروبا الغربية تأتي فرنسا في المقدمة بتعداد ١٧٠٠ مقاتل، ثم بريطانيا وألمانيا بتعداد ٧٦٠ مقاتل لكل منهما.

مراعات على الأمة... ومع المن ثاني من المنح تمر على الإنسان في حياته مواقف كثيرة، يتعرض في بعضها للأذى والضيق، وفي بعضها للرفعة والسعة، وقد يتخذ في بعضها القرارات التي يعتقد أنها صائبة، فيفرض بتحصيل شيء ويحزن على ضياع شيء، وهو لا يعلم الخير على وجه الحقيقة،

فقد يجلب لنفسه شراً وهو لا يعلم، وقد يبعد عن نفسه خيراً وهو لا يعلم، وهو من جراء حكمه على المواقف والأحداث بالظاهر، ومن قلة علمه بالغيب والباطن، فأنه هو المستأثر بعلم الغيب، ولو علمه أحد من البشر لاستكثر من الخير وأبعد عن نفسه الشر. قال الله تعالى على لسان نبيه: «وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكْرَهْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْتِيَ السُّوءُ» (الأعراف: ١٨٨).

وقد علم الله تعالى المسلمين ألا يحزنوا على ما فاتهم من متاع الدنيا الزائل، وألا يفرحوا بجلب هذا المتاع وذلك في قوله تعالى: «لَنُكَفِّلَنَّ تَأْسُواً عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» (الحديد: ٢٢)، وهذا لا يعني أن يترك الإنسان السعي، بل عليه أن يسعى في تحقيق المطالب المباحة لنفسه، وهذا مطلوب، فهو لا يعلم في أي شيء يكون الخير، وفي أي شيء يكون الشر. وبخاصة الابتلاءات والأمور القدرية التي ليس للإنسان دخل فيها.

وكم من أناس رزقهم الله المال فكان سبباً في بلانهم؛ لأنهم لم يراعوا حق الله فيه. فالعبرة هاهنا أن الإنسان قد يحب الشيء ويكون فيه هلاكه. وقد يكره الشيء ويكون فيه مسحته وعافيته. قال الله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعُسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعُسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (البقرة: ٢١٦)، ودائماً من المحن تأتي المنح.

فاللهم انصر دينك وكتابك، وثبت عبادك المؤمنين، وألف بين قلوبهم، واجمع كلمتهم، وشتت شمل أعدائهم، واجعل الدائرة عليهم يا رب العالمين، وأخرد عواناً أن الحمد لله رب العالمين.



تفسير سورة الدخان

بسم الله

جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ - العدد ١٣٣ - السنة الخامسة والأربعون

إعداد /



قال تعالى : « يَا شُعْرَبُ الزُّقُومِ

طَعَامُ الْإِنْسِيمِ » كَأَنَّهُمْ يَقْبِضُونَ

بِهِ وَيَسْتَرْفِقُونَ مُتَقَدِّمِينَ

كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ » يَدْعُونَ فِيهَا

« لَا يَذُوقُونَ فِيهَا

نَعْتُهُمْ يَسْتَكْبِرُونَ » فَذُوقُوا لَهُمْ مُرْتَقِينَ »

(الدخان: ٤٣-٥٩).

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول
الله، وبعد،

عذاب النار،

« يَا شُعْرَبُ الزُّقُومِ » طَعَامُ الْإِنْسِيمِ » كَأَنَّهُمْ

يَقْبِضُونَ فِيهَا كَمَلَى الْحَبِيمِ » حَذُوهُ فَاعْتَلَوْهُ إِلَى

سَوَاءٍ الْحَبِيمِ » ثُمَّ سُوفَافُونَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَبِيمِ

« ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ » إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ

بِهِ تَمْتَرُونَ »

شجرة الزُّقُومِ هي الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ

الْكَرِيمِ، الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: «إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» ١٠ طَعْمُهَا كَالْثَمَرِ. وَفِي أَصْلِ الشَّيْطَانِ (الصافات: ٦٥)، يَأْكُلُ مِنْهَا الْأَثِيمُ، الَّذِي ارْتَكَبَ الْإِثْمَ، بِتَرْكِهِ الْوَاجِبِ، وَانْتِهَاكِهِ الْحَرَمِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْكَافِرُونَ، الْمُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ دَلِيلٍ مُرِيدٍ» ١١ وَكَانُوا يَصْرُفُونَ عَلَى تَلْعَابِ الْعُلَمَاءِ ١٢. وَكَانُوا يَقُولُونَ: «إِنَّا وَمَنْ آتَانَا الْآلُوتُونَ مِنْ فُلَانٍ الْآلُوتِينَ وَالْآخِرِينَ الْآلُوتَ لَمَحْمُودُونَ إِلَى مِقْدَرِ يَوْمِ نَعْلُوهُ» ١٣ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْفَاعِلُونَ الْمُكَذِّبُونَ ١٤. لَا تَكْفُرُونَ بَيْنَ شَعْرٍ مِنْ زُفَرٍ ١٥. قَائِلُونَ مِنْهَا الطُّلُوتُ ١٦. فَتَرْفُوفُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَحِيمِ ١٧. فَتَرْفُوفُونَ شَرِبَ الْجَحِيمِ ١٨. هَذَا تَرْفُوفُ يَوْمِ الدِّينِ (الواقعة: ٤٥-٥٦).

ثُمَّ يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَفْعَلُ الرَّقُومُ فِي الْبُطُونِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: «كَأَنَّهُمْ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِي الْجَحِيمِ»، وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِذَا طَعَمَهَا الْكَافِرُ صَارَتْ فِي جَوْفِهِ تَفْعَلُ كَمَا يَفْعَلُ الْمُثَلُّ السَّخَنُ مِنَ الْإِحْرَاقِ وَالْفَسَادِ.

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَبَّانِيَةِ النَّارِ: «خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ»، أَيْ خُذُوهُ فَادْفَعُوهُ دَفْعًا قَوِيًّا، وَسَوْقُوهُ سَوْقًا شَدِيدًا، إِلَى أَصْلِ الْجَحِيمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا» (الطور: ١٣). «ثُمَّ ضَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ»، وَهُوَ الْمَاءُ الْمَغْلِي الَّذِي اشْتَدَّتْ دَرَجَةُ غَلِيَانِهِ. وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَفْعَلُهُ الْجَحِيمُ بِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى:

«يَصْبُتُ مِنْ نَوْبٍ رُؤْسِهِمُ الْخَبِيمُ» ١٩ يَضْمَهُ رُؤْسُ مَا فِي نَطْوِهِمْ وَالْخَلُودُ (الحج: ١٩-٢٠).

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا وَتَانِيًا، وَسُخْرِيَةً وَاسْتَهْزَاءً: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ»، يَعْنِي إِنَّ هَذَا الْعَذَابَ الَّذِي دَفَعْتُمُوهُ هُوَ الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَتَسْتَبْعِدُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا» ٢٠ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تَكْفُرُونَ ٢١. «إِنَّا أَنْصَرْنَا هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ» ٢٢

أَصْلُهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُعْرَفُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (الطور: ١٣-١٦)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» (السجدة: ٢٠)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَأَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَعًا وَلَا صِرًا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا دُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكَذِّبُونَ» (سبا: ٤٢).

نسيم الجنة:

وَعَلَى طَرِيقَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ التَّرْهيبِ وَالتَّرْغِيبِ، بَمَا ذَكَرَ خَالِ الْأَشْقِيَاءِ أَهْلَ النَّارِ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ خَالِ السَّعْدَاءِ أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ تَعَالَى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَغُرُوفٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ زُوجْنَاَهُمْ بِخُورٍ عَيْنٍ (٥٤) يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهِةٍ أَمْنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦)

فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»
 الْمُتَّقُونَ هُمْ أَصْحَابُ الْعَقِيدَةِ الصَّالِحَةِ.
 السَّالِمَةِ مِنْ شَوَائِبِ الشَّرْكِ، وَأَصْحَابُ
 الْعَمَلِ الصَّالِحِ، السَّالِمِينَ مِنْ شَوَائِبِ الْبِدْعَةِ.
 قَالَ تَعَالَى: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ
 قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَافِ الْمَالَاتِ
 وَالنَّبِيِّينَ، وَهَذِهِ هِيَ الْعَقِيدَةُ»، وَآتَى الْمَالَ
 عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ
 وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
 الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
 عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ
 وَحِينَ الْبَأْسِ» وَهَذِهِ هِيَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ.
 ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ سَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُتَّقُونَ» (البقرة: ١٧٧).

«إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ، يَأْمَنُونَ فِيهِ مِنْ
 كُلِّ مَا يَخَافُونَ وَيَحْذَرُونَ، يَأْمَنُونَ مِنَ الْمَوْتِ،
 وَيَأْمَنُونَ مِنَ النَّصَبِ وَالْتَعَبِ، وَيَأْمَنُونَ مِنْ
 الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، فَهُمْ فِي أَمَانٍ تَامٍ، وَأَمِنْ كَامِلٍ.
 «فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ» هَذَا بَدَلٌ مِنَ الْمَقَامِ
 الْأَمِينِ، فَهُمْ فِي جَنَّاتٍ وَحَدَائِقٍ وَبَسَاتِينِ،
 فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، وَعُيُونٍ وَأَنْهَارٍ، كَمَا
 قَالَ تَعَالَى: «مَثَلُ الْمَثُورِ إِلَى وَعْدِ الْمَثُورِ مِثْلُ آبٍ
 مِنْ مَاءٍ غَيْرِ مَالِيٍّ وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٍ مِنْ
 خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُسْكًى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
 الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ» (محمد: ١٥).

وَمَا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ طَعَامُهُمْ وَشَرَابُهُمْ
 ذَكَرَ ثِيَابَهُمْ، فَقَالَ: «يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ
 وَاسْتَبْرَقٍ» السُّنْدُسُ هُوَ مَا رَقَّ مِنَ الْحَرِيرِ،
 وَالْإِسْتَبْرَقُ مَا غُلِظَ مِنْهُ. وَهُمْ فِيهَا

«مُتَقَابِلِينَ» غَيْرِ مُتَدَابِرِينَ، وَذَلِكَ لِكَمَالِ
 الْمَحَبَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ
 مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» (الحجر: ٤٧).
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «كَذَلِكَ» أَيِ الْأَمْرِ كَمَا
 وَصَفْنَا، «وَزَوَّجْنَاهُمْ بِخُورٍ عِينٍ» أَيِ وَكَمَا
 أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ بِمَا ذَكَرْنَا كَذَلِكَ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ
 بِزَوَّجَاتٍ مِنَ الْخُورِ الْعِينِ. قَالُوا: سُمِّنَ خُورًا
 لِأَنَّ الْعَيْنَ تَحَازِيهِ وَصَفَ خُسْنَهُنَّ، فَلَا يُقْدَرُ
 أَحَدٌ أَنْ يَصِفَ جَمَالَهُنَّ وَخُسْنَهُنَّ. كَيْفَ
 وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 ((لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ
 إِلَى الْأَرْضِ، لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَّتِ مَا
 بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا - يَغْنَى الْخُمَارُ -
 خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)). (صحيح
 البخاري ٦٥٦٨)

وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي وَضْفِهِ:
 تَضَكَّ مِنْهَا الْعَيْنُ عِنْدَ اجْتِلَانِهَا
 هَوَاكِهِ شَتَّى طَلْعُهَا لَيْسَ يُغْدَمُ
 عِنَاقِيهِ مِنْ كَرَمٍ وَتَفَاحِ جَنَّةٍ
 وَزَمَانُ أَغْصَانٍ بِهِ الْقَلْبُ مُفْرَمُ
 وَلِلْوَرْدِ مَا قَدْ أَلْبَسْتَهُ خَدَّوْذَهَا
 وَلِلخَمْرِ مَا قَدْ ضَمَّهُ الرِّيقُ وَالضَّمُ
 تَقْسَمُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي جَمْعٍ وَاحِدٍ
 فَيَا عَجَبًا مِنْ وَاحِدٍ يَتَقَسَّمُ
 لَهَا فَرْقُ شَتَّى مِنَ الْحُسْنِ أَجْمَعَتْ
 بِجَمَلَتِهَا إِنَّ الشَّلْوَ مُحْزَمُ
 تَذَكَّرُ بِالرَّحْمَنِ مَنْ هُوَ نَاضِرُ
 هَيَنْطِقُ بِالتَّسْبِيحِ لَا يَتَلَعَّمُ
 إِذَا قَابَلَتْ جَيْشَ الْهَمُومِ بِوَجْهِهَا
 تَوَلَّى عَلَى أَغْصَانِهِ الْجَيْشَ يَهْزَمُ

فيا خاطب الحسقاء إن كنت راغباً

فهذا زمان المهر فهو المقدم

(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص:

١١)

«يدعون فيها بكل فاكهة آمنين» أي يطلبون من خدمهم أن يأتوهم بالفاكهة.

فيأتوهم بكل فاكهة.

سَمَوْ زُرْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُفِقًا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤَا بِمُتَشَبِهًا» (البقرة: ٢٥).

ولما كان ذكر الموت والخوف منه يعجز الضفؤ، وينغص العيش، امنهم الله من الموت، فقال تعالى: «لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى» التي ذاقوها في دار الدنيا، كما في الحديث:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ، هَيَّانِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيُشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟» فيقولون نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثُمَّ يَنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيُشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟» فيقولون نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، هَيَّانِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: «وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَى إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ» وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا، وهم لا يؤمنون.. (صحيح البخاري ٤٧٣٠).

ولما ذكر ما أنعم عليهم به من نعيم الجنة ذكر ما أنعم عليهم به من النجاة من النار، فقال تعالى: «ووقاهم عذاب الجحيم»، فالوقاية من النار نعمة.

وذخول الجنة نعمة أخرى..

الْعَوْرُ الْمَطِيُّ» (النساء: ١٣)، كَمَا

قَالَ تَعَالَى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَلَنُمَآ

عَنِ الْكَارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» (آل

عمران: ١٨٥).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ» يغني أن ما أنعم الله به عليهم فضل، تفضل به عليهم دون استحقاق له، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشُرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ)). قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفَرَةٍ وَرَحْمَةٍ)). (صحيح مسلم ٢٨١٦).

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أي إنما يسرنا ذلك القرآن الكريم بلسانك، أي باللغة العربية، لَعَلَّكَ وَنِعْمَ قَوْمُكَ، لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ مَا يَنْفَعُهُمْ فَيَأْتُوهُ، وَمَا يَضُرُّهُمْ فَيَجْتَنِبُونَهُ.

«فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ» أي فانتظروا نبينا حتى يأتي وعد الله لك بالنصر والتمكين، ولينتظروا هم وعد الله لهم بالهزيمة والخذلان.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: «هَلْ نَنْظُرُهُمْ إِلَّا مِثْلَ آبَائِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاَنْظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَنظِرِينَ» ثُمَّ تَجِي رُسُلُنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا سُبْحَ الْمُؤْمِنِينَ» (يونس: ١٠٢-١٠٣).

وبهذا ينتهي تفسير سورة الدخان، وإلى لقاء جديد مع سورة جديدة، والحمد لله رب العالمين.

أخي الكريم: عشنا في اللقاء السابق مع طيب العيش وسعة الرزق والبركة التي وضعها الله في الأرض وأنزلها من السماء بعد نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وحكمه الأرض بالعدل، وتوحيد الكلمة والملة، فصار الدين واحداً، والملة واحدة، والكلمة هي كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»، والدين هو دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والملة هي ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، وبهذا ساد العدل وانتشر الأمن وحلت البركة في الزرع والضرع، وعاش المسلمون في أمن وأمان، وبركة ورخاء تظلهم شريعة سمحاء ويؤمهم إمام عادل، وقد فضلنا القول في ذلك في اللقاء السابق، واليوم بحول الله وطولته وقوته ومدده نناقش عدداً من القضايا نبذوها بذكر النصوص الواردة:

أولاً: النصوص المنقطة بموضوع اليوم:

١- أورد الشيخ الألباني رحمه الله في كتاب قصة المسيح الدجال تحت رقم (٤٥)، «فيمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون، من حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد وابن حبان وغيرهما».

٢- والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في النهاية وقال عنه: إسناده جيد، «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإنني أولى الناس بعيسى ابن مريم: لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، إنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممضران كأن رأسه يقطر ماء وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الأمم كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترفع الأسود مع الأبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»، والشاهد هنا على موضوعنا اليوم هي العبارة الأخيرة: «فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»، وإن كان الحديث قد لخص قضايا كثيرة أشرنا إليها في مقالاتنا السابقة بشيء من التفصيل.

ثانياً: قضية حياة عيسى عليه السلام وموته:

القول الفصل في حياة عيسى عليه السلام وموته هو أنه عليه السلام حي عند ربه قد رفعه الله إليه كما أخبر في كتابه الكريم، ونجاه من الصلب والقتل، ولن يموت عيسى عليه السلام إلا بعد نزوله من السماء مرة أخرى آخر الزمان كما قدمنا في الأحاديث السابقة، وسيموت عيسى عليه السلام في آخر الزمان بعد أن يبقى في



مع الفصة
في كتاب الله

نزول عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان (١٤)

موت عيسى (عليه السلام) ودفنه

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه، فهو سبحانه الحي القيوم، والخلق جميعاً يموتون لا فرق في موت الخلق بين ملك مقرب أو نبي مرسل، وقد وجه الله بهذا لحبيبه ومصطفاه محمد بن عبد الله، فقال سبحانه: «إِن مِّتَّ وَنِيتُ وَنِيتُ» (الزمر: ٣٠).

الأرض أربعين سنة على القول الراجح، وبعد أن ينتشر الإسلام والعدل والأمن والأمان في الأرض، عند ذلك يموت عيسى عليه السلام ويفصل ويكفن ويصلى عليه المسلمون. هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في عيسى عليه السلام من قبل، والآن وحتى آخر الزمان. ولم يخالف في ذلك من المسلمين إلا الفرق الضالة التي لا يأتي منها خير ولا يعتد بقولها في شيء، وكذلك بعض المسلمين الذين يقدمون عقولهم على النصوص الصحيحة المتواترة ولم تستوعب عقولهم طلاقة القدرة الإلهية، وليتهم أعمالوا عقولهم في فهم النص، وما استغلوا عليهم أوكلوه إلى الله وإلى أولي العلم منهم. ونحن نقول لهؤلاء الذين لم يستوعبوا أن عيسى حي عند الله لم يموت لأن، نقول لهم كما استوعبتم أن الله خلق عيسى من أم بغير أب، كذلك استوعبوا أن عيسى حي عند الله. وأنه سينزل آخر الزمان، ثم يموت بعد أن يستوي رزقه وأجله الذي كتبه الله له، واعلموا أن الله جعل عيسى وأمه آية للعالمين. فاستوعبوا، كما قال الله تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهِ آيَاتٌ وَمُفَصِّلَاتٌ وَمَا تَدْرِي مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ» (الأنبياء: ٩١).

من رزقك وحسنها وأسها فإن لم يملك (الأنبياء: ٩١).

وهكذا شاء الله أن يجعل في ميلاد عيسى آية، وفي حياته آية، وفي المعجزات التي أجراها على يديه بإذنه سبحانه آيات، وفي رفعه إليه آية، وفي

أضل الشيطان أهل

الكتاب ضلالاً بعيداً

في أمر عيسى عليه

السلام.

إنزاله مرة أخرى إلى الأرض آية. وفي موته بعد نزوله آية، فهي آيات واضحة تنزل على قدرة الله سبحانه ومشيئته استوعبها من استوعبها، وأضل الشيطان بها أقواماً آخرين.

أضل الشيطان أهل الكتاب ضلالاً بعيداً في أمر عيسى عليه السلام؛ أضل اليهود فانكروا الآيات ونسبوا لها السحر، وكفروا بعيسى عليه السلام، واتهموا أمه بالزنى. ولا حول ولا قوة إلا بالله. أما النصارى فكانوا على النقيض من ذلك، فقالوا: إنه الله، أو قالوا: ثالث ثلاثة، أو قالوا: هو ابن الله، وقالت طائفة الحق هو عبد الله ورسوله، ولكن هذه الطائفة غلبت على أمرها وانتهت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله بالحق الذي كانوا فيه يمترون. والخلاصة التي عليها أهل الحق أن عيسى عليه السلام رفعه الله إليه وهو حي عند الله الآن، وحياته حتى اليوم وإلى أن يشاء الله لا تجعله إلهاً ولا ابن الله، بل هو بشر ممن خلق الله وقد استثناه الله من الموت حتى الآن، وإلى أن يشاء

لحكمة يعلمها سبحانه، كما

استثنى بعض مخلوقاته من الموت لحكمة أرادها ولا يجعلها هذا الاستثناء في مصاف الآلهة، ومعلوم أن الله لم يكتب الفناء على بعض المخلوقات مثل الجنة والنار والكرسي والقلم واللوح. ولا يقول عاقل، إن هذه الأشياء آلهة.

أما عيسى عليه السلام فسيموت بعد نزوله إلى الأرض واستكمال مهمته فيها بالقضاء على مصادر الشر المتمثلة في الدجال وأتباعه من اليهود، وكسر الصليب وقتل الخنزير، وتخليص الأرض من يأجوج ومأجوج، وبعد أن تكون اللة واحدة والدعوة واحدة، وهي الإسلام، ويعم السلام والرخاء والأمن، ويبقى عيسى في الأرض أربعين سنة ثم يموت بإذن الله.

ثالثاً: الصحيح في مدة بقاء

عيسى عليه السلام في الأرض

جاء في حديث أبي هريرة المذكور معنا أن مدة بقاء عيسى في الأرض أربعون سنة. وجاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الذي أخرجه مسلم وأحمد: «... يخرج الدجال في أمتي، فيبعث الله عيسى ابن مريم فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنتين عداوة...» والحدِيثان صحيحان، وللنظرة المتعجلة يظهر أن بينهما تعارضاً، والحق أنه لا تعارض بينهما للمأمل، وخصوصاً أن هناك رواية للحديث عند الإمام أحمد فيها: «ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين

اثنين عداوة..

وقد وجه المحققون من أهل العلم عودة الضمير في بعده، على عيسى عليه السلام، أي بعد موته، وإلى هذا ذهب الإمام البيهقي رحمه الله، ونقله عنه الإمام ابن كثير في النهاية، «يحتمل أن يكون قوله في حديث ابن عمرو، «ثم يلبث الناس سبع سنين»، أي، بعد وفاة عيسى عليه السلام، فلا يكون مخالفاً للأول، فتخرج عندي هذا التأويل، لأن الحديث ليس نصاً في الإخبار عن مدة بقاء عيسى، وذلك نص فيها؛ لأن ثم ما يؤيد هذا التأويل، وكذلك قوله: «يلبث الناس بعده»، والضمير لعيسى؛ لأنه أقرب مذكور، ولأنه لم يرد في ذلك سوى الحديث المحتمل، ولا ثاني له، وورد في مكث عيسى أربعين سنة في عدة أحاديث من طرق مختلفة، فهذه الأحاديث المتعددة وغيرها، أولى من ذلك الحديث المحتمل.. اهـ.

وهكذا يرى الإمام البيهقي ويوافقُه ابن كثير أن حديث عبد الله بن عمرو ليس نصاً في الإخبار عن المدة، وهو يحتمل التأويل، أما حديث أبي هريرة وضميره فهو نص صريح في مدة بقاء عيسى عليه السلام، وحديث عبد الله بن عمرو حديث واحد محتمل، والأحاديث التي تثبت بقاء عيسى أربعين سنة كثيرة ومتعددة، وبذلك ترجح من عدة وجوه أن مدة بقاء عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله وقبل موته أربعين سنة، والله أعلى وأعلم. (وليس ألف عام كما يظن أصحاب الأنبيات).



بين يدي الساعة:

يبقى شرار الناس في خفة

الطير، وأحلام السباع.

لا يعرفون معروفها، ولا

ينكرون منكرها.



رابعا: مكان دفن عيسى

أين سيدفن عيسى بعد موته؟ في المدينة أم بالشام؟ هذا موضع خلاف بين أهل العلم، فقد نقل ابن كثير في النهاية عن القرطبي في آخر كتاب التذكرة أن وفاة عيسى ستكون بالمدينة النبوية، فيصلى عليه هناك. ويدفن في الحجرة النبوية أيضاً، وقد ذكر ذلك أبو القاسم ابن عساكر. ولم يؤكد ابن كثير هذا أو ينفيه، وقد وردت عدة أحاديث في هذا الباب لكنها ضعيفة، منها ما جاء عند عبد الله بن سلام رضي الله قال: نجد في التوراة أن عيسى ابن مريم عليه السلام يدفن مع محمد صلى الله عليه وسلم، وقد روى البخاري في التاريخ الكبير عنه: «يدفن عيسى ابن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فيكون قبره رابعا».

ولما كانت هذه الأحاديث قد ضعفها كثير من أهل العلم، منهم الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ العلامة الألباني، رحمهما الله، وغيرهما من السابقين، فإننا لا نستطيع أن نجزم القول بشأن مكان دفن

عيسى عليه السلام بعد موته آخر الزمان في المدينة يدفن أم بالشام.

خامسا: ماذا يحدث بعد موت

عيسى عليه السلام،

الذي سيحدث بعد موت عيسى السلام كما ظهر من الأحاديث التي سبق بيانها أن ظاهرة الخير والأمن والأمان التي كانت في حياته ستبقى بعده سبع سنوات، «ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة»، أي: يبقى الناس على حالة الصلاح والخير التي كانوا عليها في حياة عيسى سبع سنين بعد وفاته، ثم تتغير الأحوال ويأتي الفساد شيئا فشيئا.

واليك ما ورد في ذلك باختصار: «فبينما هم كذلك؛ إذ بعث الله ريحا باردة من قبل الشام فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه، ويبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، ولا يعرفون معروفها، ولا ينكرون منكرها فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبيون؟ فيأمرهم بالأولاد فيعبدونها، وهم في ذلك دارة أزواقهم حسن عيشهم يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة».

أما عن الساعة وقيامها فهذا حديث له موضع آخر، ولنا مع نبي الله عيسى عليه السلام وقصة أخيرة نتذكر فيها الخطوط العريضة والخلاصة المفيدة، إن شاء الله تعالى.

باب الستة

صلاح الرفيق

الحمد لله وحده. والصلاة والسلام على رسول
الله وآله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فإن الموت هو الحقيقة الغاية، قلما يفكر فيه

الإنسان مع أنه يعلم أنه لابد من الموت، وكل

شيء لا يخفى على أحد، أن الموت هو نهاية

الحياة، وأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش

بدون الموت، وأن الموت هو نهاية

الحياة، وأن الموت هو نهاية

الحياة، وأن الموت هو نهاية

الحياة، وأن الموت هو نهاية

الحياة، وأن الموت هو نهاية

الحياة، وأن الموت هو نهاية

الحياة، وأن الموت هو نهاية

الحديث:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما
من حديث أنس بن مالك - رضي الله
عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال: "يتبع الميت ثلاثة: أهله وعمله
وماله، فيرجع اثنان، ويبقى واحد، يرجع
أهله وماله ويبقى عمله".

الغزو:

رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠)،
والنسائي في سننه (١٩٣٧).

الشرح:

ومعنى الحديث:

أن الرجل إذا مات تبعه إلى قبره ثلاثة:
تبعه أهله، وهم أولاده وأقاربه وأهل
صحبه ومعرفته، وتبعه ماله، ومنه
عبيده وإماؤه ودابته، وتبعه عمله، وهو ما
أسلفه من خير أو شر. فيرجع أهله وماله،
 ويبقى معه عمله. انظروا "مرقاة المفاتيح"
(٣٢٣٥/٨)

وقال الجاهظ ابن حجر رحمه الله:
"قَوْلُهُ (يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ) هَذَا
يَقَعُ فِي الْأَعْلَبِ، وَزَبَّ مَيِّتٌ لَا يَتَّبِعُهُ إِلَّا
عَمَلُهُ فَقَطْ، وَالْمُرَادُ مَنْ يَتَّبِعُ جَنَازَتَهُ مِنْ
أَهْلِهِ وَرَفِيقَتِهِ وَدَوَابِّهِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ
الْعَرَبِ، وَإِذَا انْقَضَى أَمْرُ الْحُزْنِ عَلَيْهِ رَجَعُوا،
سَوَاءً أَقَامُوا بَعْدَ الدَّفْنِ أَمْ لَا. وَمَعْنَى بَقَاءِ
عَمَلِهِ: أَنَّهُ يَدْخُلُ مَعَهُ الْقَبْرَ.

وصحبة العمل للإنسان في قبره عقيدة
تواترت بها الأدلة، بل صحت الأدلة أن
عمل الإنسان قد يظهر للإنسان في صورة
رجل يصحبه كما وقع في حديث البراء بن
عازب الطويل في صفة المسألة في القبر عند
أحمد وغيره، قال صلى الله عليه وسلم:
"إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا
وَأَقْبَالَ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ
السَّمَاءِ... وَفِيهِ: (قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ
الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ:
أَبْشِرْ بِالَّذِي بِسَرِّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ
تُوَعِّدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيُجِبُهُ الْوَجْهُ

د. مرزوق محمد مرزوق

عدد اعداد

يجيء بالخير. فيقول: أنا عمك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أزعج إلى أهلي ومالي) (رواه أحمد (٣٦٢/٤) وصححه الألباني في "أحكام الجنائز" (١٥٦)).

وفي تفسيره للمال كيف يتبع صاحبه قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "قال أهل العلم رحمهم الله تعالى: هذا في الميت الذي له أرقاء يتبعونه، والأرقاء أمواله يباعون ويشترون. وقال بعض العلماء: المراد بماله هو ما يكرم من أجله، يعني أن الناس غير أقاربه وغير أهله، يخرجون معه من أجل ماله إذا كان تاجرا، فغير بالمال عن التابعين من أجل المال... فالمعنى إما أن يقال: إن المراد بالمال العبيد الأرقاء، أو يراد بالمال ما يكرم به من أجله. وهو كثرة الناس الذين ليسوا من أهل الميت. والله أعلم". (وانظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (١٧/ ٤٢٩-٤٣٠).

التفصيل:

ولا يعني من كلامنا أبداً ذم الصاحبين الأوليين، ولكن نعتي من كلامنا التفصيل فيهما وتوجيههما ليصيرا عملاً صالحاً وبيان ذلك ما قد بينه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة قيمة، شرح فيها هذا الحديث أفيد منها بما يلي: إن ابن آدم في الدنيا لا بد له من أهل يعاشرهم، ومال يعيش به، فهذان صاحبان يفارقانه ويفارقهما، فالسعيد من اتخذ من ذلك ما يعينه على ذكر الله تعالى، وينفقه في الآخرة، فاما من اتخذ أهلاً ومالاً يشغلانه عن الله تعالى، فهو خاسر. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْخُذُهُمْ أَرْزَاقُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المنافقون: ٩).

فإذا مات ابن آدم، واثقل من هذه الدار، ثم ينتفع من أهله وماله بشيء إلا بدعاء أهله له، واستغفارهم. وما ثبت من الشرع من الصدقة عن الميت، وبما قدمه من ماله بين يديه. قال صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

صلاح الأصحاب:

فأما الصاحب الأول، الأهل، فأهله لا ينتفعه

منهم بعد موته إلا كما تقدم ذكره والله أعلم، وقد لا يفعل. وقد يكون الأجنبي أنفع للميت من أهله كما قال بعض الصالحين، أهلك يقتسمون ميراثك، وهو قد تضرد بحزنك يدعو لك، وأنت بين أطباق الثرى، فمن الأهل من هو عدو، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ وَأَرْزَاقُهُمْ عَنْكَ لَكُم مَّا كَدَّرْتُمْ﴾ (التغابن: ١٤).

تمر أقاري جنيات قبيري

كأن أقاري لا يعرفوني!!

ذوو الميراث يقتسمون مالي

ولا يألون إن جحدوا ديوني!!

وقد أخذوا سهامهم وعاشوا

فيا لله أسرع ما نسوتي!!

وأما الصاحب الثاني، وهو المال.

روى مسلم في صحيحه من حديث مطرف عن أبيه قال، أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرأ، «أَلْهَيْكُمْ الْكَافِرُ» (التكاثر: ١)، قال: "يقول ابن آدم: مالي، مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟"

وروى البخاري من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر."

فالعاقل هو من قدم من ماله ما يحبه، فيفوز به في دار الإقامة، فإن من أحب شيئاً استصحبه. قال الحسن، بنس الرقيقان الدرهم والدينار: لا ينفعانك حتى يفارقاك!.

وقد أحسن من قال:

السقم في جسمي له تزدد

والعمر ينقص والذنوب تزداد

وكان علي - رضي الله عنه - يقول في الليل: "آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق".

يا جامع المال ما أعددت للخفر

هل يغفل الزاد من أضحى على السفر؟!

أما الخليل الثالث: فهو العمل الذي يدخل مع صاحبه في قبره فيكون معه فيه، ومعه إذا بعث و

معه في مواقف القيامة، وعلى الصراط، وعند الميزان، وبه تقسم المنازل في الجنة والنار، قال تعالى:

«مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» (الروم: ٤٤).

فالعمل الصالح يكون مهاداً لصاحبه بعد الموت، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهد، بل كل عامل يقتري عمله ويتوسده من خير أو شر، وقال بعض السلف: اعمل للدنيا على قدر مكنك فيها، واعمل للأخرة على قدر مكنك فيها.

فائدتان من الحديث:

أولاً: صلاح الرفقاء باتباع الوحي (قرآناً وسنة)، وإن كانت هذه مسلمة، أي أن الإنسان لا يبقى معه في قبره أنيس إلا عمله الصالح- لذا فهو أول ما يهتم به من الرفقاء وصلاح هذا الرفيق لا يكون إلا باتباع الوحي كتاباً وسنة.

وهذا ليس معناه إهمال الرفيقين الأوليين أبداً، بل معناه توجيههما أيضاً لأن يصيرا عملاً ينتفع به فدعاء الأهل ينتفع به الميت والولد من كسب أبيه، وما تصدق من ماله وأنفق في سبيل الله قبل موته ينتفع به الميت، وما أوصى به في أوجه البر والخير حتى ولو تصدق به بعد موته ينتفع به من أوصى بل حتى لو نوى الصدقة. ومات وحال دون صدقته عذر ينتفع به إن شاء الله، فالأعمال بالنيات وهي مقبولة طالما اجتمعت مع النية موافقة السنة، وهما شرطاً القبول والحمد لله، بل ينتفع من ماله بصدقة جارية يتصدق بها أبناؤه بهذه النية، وفي هذا كله يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

فسبحان الله حتى الرفيقين الأوليين اللذين يفارقان العبد قد تحولوا إلى عمل لا يفارقه باتباع تعاليم الشرع (الوحي) فيهما كما في الحديث السالف: فإن أحسن تربية ابنه على شرع الله عز وجل فقد استثمره كعمل يوائسه

بعد أن يقبر.

الفائدة الثانية: لا يخفى على كل ذي قلب منصف ما يعانيه من كان همه من تربية أبنائه هو تحصيل الدنيا مناصبها ومظهرها على حساب الآخرة، لا يخفى على الجميع ما يعانيه أمثال هؤلاء من معاناة؛ لأنهم يرون رأي العين أن أبنائهم قد خسروا كل شيء، فلا حصلوا دنيا ولا عمروا آخرة بل ولا حتى قد حصلوا هم كآباء برهم، وأنى يتأتى هذا البر والولد لم يرب على الوحي الذي يعلم الناس البر بحقيقته وكيفية.

سأل أحد المعلمين تلميذه عن أبيه، وكان الأب قد كبر سنه ومريض، فقال الولد لمعلم الناس الخير ادع له، فأجاب المعلم: بماذا؟ فسكت الولد، وقال: لقد اشتد به المرض، فظم المعلم أن الولد ربما يقصد ادع له بأن يريجه الله من المرض وقد كبر سنه فعلمه الشيخ قائلاً: لو كنت تقصد موته حتى ولو كان قبلك فهذا ليس من البر، بل تمن له الراحة والشفاء، ولا تمن له الموت مهما كبر، وقلت أن الموت مريحه، فلو أن ابنك مريض وأخبرك الأطباء أنه مینوس من شفائه، ولكنك وجدت قليل أمل في شفائه، فلن تتوان عن الحركة والبحث والإنفاق لماذا؟ لأنك تحب ابنك حباً حقيقياً يدفعك لبره.

وهكذا لا تجد هذه المعاني إلا في تربية الوحي الذي يحيي قلوب العباد ويرققها.

بل ونرى أن أول من يصاب من جراء عدم تربية الأبناء على الشرع هم الآباء فتجد الولد يكبر فيتبجح في وجه والديه، لماذا؟ لأنهم لم يربوا فيه أخلاقاً على الشرع، وإنما ربوا فيه جسداً بالياً لا يقوم للدنيا ولا دين (ومن تربى عن
عن أبي لهو: مَعِي شَتَا وَنَحْشَةُ زَوْجٍ فَيَمُوتُ
أَعْمَى . قَالَ لَمْ يَحْتَرِثْ عَمَى فَنَدَّ شَتَا صَبْرًا .
قَالَ كَذَبْتَ . سَكَتَ سَبِيحًا وَذَلِكَ لَوْ شِئِيَ (طه؛ ١٢٤-١٢٦).

إذن فمرد أمرنا كله لله وشرعه (وحيه) فلو صلح هذا القصد فينا لتحولت حياتنا (عباداتها وعاداتها) إلى أعمال صالحة تكون للمرء أنيساً ورفيقاً لا يتركه.

براعة البخاري ودفاع عن السنة

وسبحان الله لنا هنا وقفة عجيبية لها ارتباط بموضوعنا كما أنها مرتبطة بفقهاء إمام من أئمة المسلمين يستهدفه الناس في هذه الأيام وما استهدفوه لذاته، ولكنهم فعلوا هذا معه لدوره تجاه السنة حتى صار علماً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يريد أعداء الإسلام أن يأتوا الإسلام من قبله.

أما العالم فهو الإمام البخاري، وأما موضوع الوقفة فهو أننا قد اتفقنا أن حل الأمر كله مرده لاتباع الوحي، ولإمام البخاري في هذا عمل عجيب ألا وهو، أنه قسم كتابه المشهور المعروف لدى الصغير والكبير (بصحيح البخاري) قسمه إلى ٩٢ كتاباً من أبواب العلم المختلفة؛ ككتاب العلم وكتاب الصيام والصلاة والزكاة والحج... إلخ، ثم وفقه الله عز وجل إلى بدء هذا السفر العظيم بكتاب سماه (بدء الوحي) ثم ختمه بكتاب سماه (كتاب التوحيد)، فكان الإمام البخاري أراد أن يقول لنا رسالتين:

١- إن الذي سأذكره لكم في هذا السفر العظيم ليس من عندي، ولا من تألفي ولكنه وحي من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم لذا أبدأ بكتاب (بدء الوحي) وقول الله تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والتبيين من قبلك).... وهو ورد على من قال، إن البخاري وضع هذه الأحاديث من عنده.

٢- أن من أراد أن يموت على التوحيد والذي سمي به البخاري آخر كتاب في صحيحه (كتاب التوحيد)، والذي هو المقصد من خلق الله للعبيد من أراد أن يموت عيه فلا سبيل إليه إلا الوحي الذي نقلته لكم بين (كتاب بدء الوحي) وبين (كتاب التوحيد).

البشرى: (لا تعسوه شراً لكم):

الله أكبر، والبخاري كسائر الخلق لا يعلم الغيب (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) فلم يكن يعلم البخاري أن الناس سيتهمون به بالوضع في هذه الأيام، ولم يكن يعلم أن الناس ستنكر الوحي ولكنه وفق لهذا التوبيخ وهذا الترتيب، ولا نرى هذا إلا من كرامات حفظ الله لدينه على أيدي أوليائه رحمهم الله. وبهذا أرف

البشرى: فلا يجزئ المسلم الذي يدمع فؤاده لما أصاب أهل الإسلام من ضعف، ولما رأى من اجتماع جيوش الأعداء على كتابتنا الذي شرفنا الله به (كتاب الله) وعلى سنة رسول الله ينالون منهما في حملة شرسة ممنهجة منظمة من الخارج والداخل فتالوا من مؤسساتنا الرسمية والأهلية ومن علمائنا ومن تراثنا ومن تعاليمنا ومن ثوابتنا بمسميات كاذبة في مضمونها مرفوضة في شكلها مكشوفة للقاصي والداني لا يضرنا كل هذا، فإله ناصر دينه لا محالة قال تعالى: ((والله متم نوره ولو كره الكافرون)) علينا فقط أن نقوم بواجب عبادة الوقت وما ذلك إلا باتباع الوحي (كل الوحي) ثم يأذن الله بنصره وقتما يشاء ويأذن ((وما النصر إلا من عند الله)) بل إن هذه الحملة على نبي الإسلام وأهله هي من بشريات النصر (ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه المشهور: "الصارم المسلول على شاتم الرسول" قال رحمه الله: ((حدثني العدول من أهل الفقه والخبرة أنهم كانوا يحاربون بني الأصفر-الروم- فتستعصي عليهم الحصون ويصعب عليهم فتحها ويحاصرونها أكثر من ستة أشهر، حتى إذا وقع أهل الحصن في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم استبشرنا خيراً بقرب فتح الحصن، يقول فوالله لا يمر يوم أو يومان إلا وقد فتحنا الحصن عليهم بإذن الله جل وعلا.

خاتمة حديث كهذا ألا بذكرنا بالوعد وما بعده؟

قال تعالى: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ» (ق، ١٩).

وقال تعالى: «وَأَمَّا أَمْرًا زَرَفْنَاكُمْ فِي إِنْ بَأْسَ كَرِهَ الْمَوْتُ يَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَلْمَزْتُ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَمْدَدَكَ وَكُنْ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ» (النمل، ٨٢) ولما يؤخر الله نفسك عنه حيناً والله خير بما تعلمون» (المنافقون، ١٠-١١).

ومما يعين على ما سبق بيانه:

ومما يعين على ذلك زيارة القبور، وحضور مجالس الوعظ، وسماع أخبار الصالحين: فمن حضر مجالس الوعظ، وداوم على سماع أخبار الصالحين، وعلم ما كانوا عليه من الزهد في الدنيا والتطلع إلى الآخرة رق قلبه وصالح حاله ومن أقوى ما يعين على ذلك تلاوة كتاب الله عز وجل، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار



العلقة (٤٢)

علي حشيش

إعداد /

٣٩٥- "رَبِّ طَاعِمٍ شَاكِرٍ أَغْظَمَ أَجْرًا مِنْ صَانِمٍ صَابِرٍ".

الحديث لا يصح، أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٣١٠/٢) (ح١٤٦٧) في «الكامل» (١٣/٢) (٢٥٠/٧)، «منكر الحديث عن الثقات والأئمة»، وهو بين الضعف جداً، وروايته التي يرويها عن يروي غير محفوظة. وهو عندي ممن يضع الحديث على الثقات.

٣٩٦- "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ أَوْثَقَ فِي خَاتَمِهِ خَيْطًا".

الحديث لا يصح، أخرجه ابن عدي في الكامل (١٣/١) عن واثلة بن الأسقع الليثي، وعلمته إبراهيم بن بشر. رواه عن الأوزاعي عن مكحول عن واثلة به. قال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٤٧/١٤٢/١): «بشر بن إبراهيم الأنصاري عن الأوزاعي بأحاديث موضوعة لا يتابع عليها». اهـ. وقال ابن عدي، ما ذكرته عنه عن الأوزاعي كل ذلك بواطيل وضعها عليه.

٣٩٧- "رَهْبَانِيَّةٌ أَمَّتِي الْقَمُودُ فِي الْمَسَاجِدِ".

الحديث لا يصح، أورده الغزالي في «الإحياء» (٣٥٩/٤) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده أصلاً». اهـ.

٣٩٨- "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ صِ اعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بَوْزَنُ كُلِّ جَبَلٍ سَخَّرَهُ اللَّهُ لِدَاوُدَ حَسَنَاتٍ. وَعَصَمَهُ اللَّهُ، تَعَالَى، أَنْ يُصْرَعَ عَلَى ذَنْبٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ".

الحديث لا يصح، أخرجه الواحدي في تفسيره «الوسيط» (٥٣٧/٣) والثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» (١٧٥/٨) وعلمته سلام بن سليم الكذاب ليس بشيء يروي الموضوعات كذا في «تهذيب الكمال» (٢٦٣٧/٢٢٢/٨). و«الميزان» (٣٣٤٣/١٧٥/٢) للذهبي، والمجروحين (٣٣٥/١) لابن حبان وعلة أخرى هارون بن كثير مجهول روى عنه سلام بن سليم، وعلة ثالثة زيد بن سالم عن أبيه نكرة فالحديث موضوع على الصحابي أبي بن كعب مرفوعاً ومسلسل بالعلل التي تزيدده وهنا على وهن. وأورده الزمخشري في «الكشاف» (٣٥/٤).

٣٩٩- "سَطَعَ نُورٌ فِي الْجَنَّةِ فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا هُوَ مِنْ ثَغْرِ حُورَاءَ ضَحَكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا".

الحديث لا يصح، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٧٤/٦)، وابن عدي في «الكامل» (٤٥٧/٢) (٥٦٧/١٩٨) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً، وعلته: حلبس بن محمد الكلبي، قال ابن عدي: منكر الحديث عن الثقات. وأورد هذا الحديث الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢٢٣٣/٥٨٧/١) وجعله من منكرات حلبس الكلبي وقال: «هذا باطل»، وقال الدارقطني: حلبس الكلبي: متروك الحديث. وقال ابن عدي: هذا حديث منكر.

٤٠٠- "من أراد أن يؤتبه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية: فليزهد في الدنيا".

الحديث لا يصح أورده الفزالي في «الإحياء» (٢١٩/٤) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً».

٤٠١- "من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة".

الحديث لا يصح: أخرجه الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» (٢٥٢/٩) والواحدي في تفسيره «الوسيط» (٢٥٨/٤) من حديث أبي بن كعب مرفوعاً وعلته سلام بن سليم الطويل أبو أيوب المدائني؛ كذاب، وهارون بن كثير مجهول، وزيد بن سالم عن أبيه نكرة كما قال الحافظ في «اللسان» (٢١٨/٦)، والحديث أورده الزمخشري في تفسيره «الكشاف» (٣٦٣/٤) فالحديث موضوع.

٤٠٢- "من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر في النار".

الحديث لا يصح: أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٨٤/١) (ح ٤٦٤)، ورواه ابن حبان في «المجروحين» (٨٨/٣)، والحاكم في «المستدرک» (٢٧٠/٤) من حديث ابن عباس مرفوعاً، وعلته هشام بن زياد أبو المقدام. قال الإمام ابن حبان في «المجروحين»: «كان هشام ممن يروي الموضوعات عن الثقات، والمقلوبات عن الأثبات حتى يسبق إلى قلب المستمع أنه كان المتعمد لها، لا يجوز الاحتجاج به». اهـ. وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٦١٢): «هشام بن زياد أبو المقدام، متروك الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه حيث بيّنه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص ٧٣) فقال: «ومذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٤٠٣- "الوضوء على الوضوء نور على نور".

الحديث لا يصح وهو مشهور على الألسنة، أورده الفزالي في «الإحياء» (١٣٤/١)، وقال الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» (١٣٤/١): «لم أجد له أصلاً». اهـ.

الدعاء فضائل وآداب وأحكام

شيخ د. عبيد الرحمن الحذيفي

إمام المسجد النبوي

إمام المسجد النبوي



الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العزة والكبرياء، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بالشريعة التامة الغراء. أما بعد،

فلقد قدر الله أسباب كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، وقدر أسباب كل شر في الدارين، فمن أخذ بأسباب الخير والفلاح، ضمن الله له صلاح دُنياه، وكان له في الآخرة أحسن العاقبة مخلداً في جنات النعيم، فانزلاً برضوان الرب الرحيم، قال الله تعالى: (مَلَّ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ) (الرحمن، ٦٠).

ومن عمل بأسباب الشر حصد جزاء عمله شراً في حياته وبعد مماته، قال الله تعالى: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ الْقَلِيلِ الْكَفَىٰ مَن يَسْمَلْ سُوءًا يَجْنَبْ يُوْهُ وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يَتَّخِذْ) (النساء، ١٢٣).

ألا وإن من أسباب الصلاح والإصلاح والفلاح، وتتابع الخيرات، وصرف التوازل والعقوبات، ورفع المصائب الواقعة والكربات، الدعاء بإخلاص، وحضور قلب، والاحاح، فالربُّ جل وعلا- يُحبُّ الدعاء ويأمر به.

والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، قال الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ انْعَوُوا أَنَسْتَجِبْ لَكُمْ إِذَا أَلَّيْتُمْ بِنَعْتِكُمْ وَمَن يَسْتَعِذْ مِنِّي فَيَافُتْ سَيَفُتْ) (غافر، ٦٠).

والدعاء هو العبادة، كما في حديث التَّعَمُّنِ بن بشير- رضي الله عنه-، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «الدعاء هو العبادة»، (رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»، (رواه الترمذي وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم، وقال: «صحيح الإسناد»).

والدعاء مُرَضَّب فيه في كل وقت، فهو

عبادة يُثيبُ عليها الربُّ أعظم الثواب، وهو مُحَقَّقٌ للمطالب كلها الخاصة والعامة، الدينية والدنيوية، في الحياة وبعد الممات.

ولمنافع الدعاء العظيمة شرعه الله في العبادات المفروضة وجوباً أو استحباباً، رحمةً من ربِّنا - سبحانه -، وتكرُّماً وتفضلاً لنعمل بهذا السبب الذي علمنا الله إياه، ولو لم يعلمنا الدعاء لم نهتد إليه بعقولنا، قال الله تعالى: **(وَعَلَّمَهُ مَا لَا فَلَاحَ أَنتَ وَلَا مَبَازِغٌ)** (الأنعام: ٩١).

قلله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحبُّ ربُّنا ويرضى.

وتتشدد الحاجة إلى الدعاء دائماً خاصة في هذا العصر، مع تظاهر الفتن وكثرتها، وخلول الكوارث المدمرة، ونزول الكربات بالمسلمين، وظهور الفرق المبتدعة التي تفرق صف المسلمين، وتستحل الدماء والأموال المعصومة، وتجفوا العلم وأهله، وتفتي بالجهل والضلال.

ومع تمالي أعداء الإسلام عليه، وتأميرهم على أهل الإيمان، والتخاذل والفرقة والاختلاف بين المسلمين، ومع الأضرار التي لحقت بكل فرد مسلم أخرج من دياره بظلم ومسه الضر، وتعسرت عليه حوائجه، وضافت عليه الأرض بما رحبت، تشدد الحاجة إلى الدعاء في هذه الأحوال العصيبة التي يصطلي بناها المسلمون في بلدان شئت فيها الفتن. ولقد أثنى الله على الذين يدعون، ويتضرعون إليه - عز وجل - إذا نزلت بهم الخطوب والشدائد، قال الله تعالى عن أبيي البشر: **عليهما الصلاة والسلام: (قَالَ رَبُّنَا طَلَعْنَا لَأَفْكََا وَإِنْ لَمْ تَنْفِرْ لَنَا وَتَرَحَّمَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** (الأعراف: ٢٣).

وقال تعالى: **(وَلَنُؤْتِيَنَّهُمْ بَشِيرًا وَالْوَعْدَ وَنَقِصَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعَرْشِ وَنُفِرَ الْخَبِيرُ)** (النور: ٢٤). **أَفَسْتَنْهَمُ مُبِمَّةً فَلَوْ أَنَّا بَوَّيْنَا إِلَيْهِ رُجُوعَ)** (أولئك: ٢٥). **عَنْهُ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنْتَدُونَ)** (البقرة: ١٥٥-١٥٧). وقال - عز وجل - عن يونس - عليه السلام: **(مَكَادَنِي الظُّلُمَاتِي أَنْ لَأِإِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)** (الأنبياء: ٨٧).

وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت، لم يدع بها رجل

مُسلم في شيء قط إلا استجاب الله له، (رواه أحمد والترمذي والحاكم، وقال: «صحيح الإسناد»).

ولما دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - ثقيفاً إلى الإسلام، ردوا عليه دعوته، ورموه بالحجارة حتى أدمت عينيَّه، فدعا ربَّه قائلاً: **«اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين! إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني. أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي. ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك، أو ينزل بي سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»**.

فبالدعاء تستقبل الشدائد والكربات إذا لم يقدر البشر على دفعها، عن ثوبان، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **«لا يرزُ القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»**، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يُصيبه، (رواه ابن حبان في «صحيحه، والحاكم، وقال: «صحيح الإسناد»).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما -، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: **«إن الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليك - عباد الله - بالدعاء»** (رواه الترمذي والحاكم).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، **«إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»** (رواه البخاري ومسلم).

وكفى بهذا ثواباً وفضلاً أن يكون الله مع الداعي. كما ذم الله الذين يتركون الدعاء عند نزول العقوبات، وتظاهر الفتن والكربات، قال الله تعالى: **(وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْأَذْنَانِ فَمَا اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضَعَفُونَ)** (المؤمنون: ٧٦). وقال - عز وجل -، **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ نَبِيِّكَ فَأَمَّاهُمْ بِالْأَسْمَاءِ وَالْأَسْمَاءِ لَمْ يَنْصَرِفُوا إِلَّا أَنْ يُكَلِّمَهُمْ فَتَرْجِعُونَ)** (٢١) **فَلَوْلَا إِذْ كَانُوا تَأْسَا بِصَرَغُوا وَلَكِنْ نَسْتَ قُلُوبَهُمْ وَرَبِّ لَهُمُ الشَّقِيقُ مَا كَانُوا بِمَكَلُوفٍ)** (الأنعام: ٤٢، ٤٣). وقال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسْمَاءِ وَالْأَسْمَاءِ لَمْ يَنْصَرِفُوا)** (الأعراف: ٩٤).

وترك الدعاء في الكربات إصراراً على الذنوب، واستخفافاً ببطش الله الشديد، قال الله - سبحانه -، **(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)** (البروج: ١٧).

والدعاء سبب عظيم لتزول الخيرات والبركات، ودفع الشر أو رفعه عن الداعي.

والدعاء أقوى الأسباب للخروج من الشر الذي وقع، والمكرهه الذي حل. قال الله تعالى: **(وَأَنذِرْكَ إِذْ يَدْعُو رَبَّهُ أَيَّ مَسْئٍ الْمَرْءُ وَأَنَّهُ أَزْهَمَ الرَّجِيمِ فَاسْتَحْسَبْ لَهُ فَنَكِثَ مَا يَدْعُو بِهِ مِنْ شَرٍّ وَأَنِّيَنَهُ أَهْلَهُ وَفَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِي وَذَكَرْتُ الْقَائِدِينَ)** (الأنبياء: ٨٣، ٨٤). وقال تعالى: **(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَكَيْفَ الْقُوَّةُ)** (النمل: ٦٢)؛ أي: لا أحد يفعل ذلك إلا الله تعالى.

وقال - سبحانه -: **(قُلْ مَنْ يُجِيبُكَ مِنَ الْمَلَأِ الْكَرِّ وَالْخَرِّ تَدْعُوهُ نَزَرًا وَمُعْتَابَةً لَهُنَّ أَنفُسًا مِنْ هَؤُلَاءِ أَتَكُونُ مِنَ الشَّاكِرِينَ)** (الأنعام: ٦٣).

والمسلم عليه أن يرغب إلى الله في إصلاح شأنه كله. وأن يرفع إلى ربه حوائجه كلها، ويسأله كل شيء، وأعظم مطلوب الجنة والنجاة من النار. قال الله تعالى في الحديث القدسي: **«يا عبادي! كلتم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي! كلتم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! كلتم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم»**، (رواه مسلم من حديث أبي ذر - رضي الله عنه -). ومعناه: أسألوني الهداية والإطعام والكسوة والغفرة.

اللهم اهدنا وأطعمنا واكسنا واغفر لنا يا أرحم الراحمين.

وفي الحديث: **«يسأل أحدكم ربه حتى شفع نعله وملح طعامه»**.

وكم دعوة غيرت مجرى التاريخ من شر إلى خير، ومن حسن إلى أحسن، قال الله تعالى عن أبينا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -: **(وَمَا أَكُنَّ بِهَذَا رَسُولًا نَبِيًّا نَبَلُوا عَلَيْهِمْ أَنِّي أَخَذْتُ الْكِتَابَ بِالْحِكْمَةِ وَرُزِّقْتُ إِلَيْكَ آتُ الْفَرِيقِ الْفَرِيقِ)** (البقرة: ١٢٩).

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال، قلت، يا رسول الله! ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك أمهات الأنبياء يريهن، (رواه أحمد).

فالمسلمون في الخير الدائم بهذه الدعوة. والأرض نالتها هذه الدعوة المباركة.

ودعوة نوح - عليه الصلاة والسلام - كانت خيرا ونجاة للمؤمنين الموحدين، وشرًا على المشركين وهلاكًا.

ودعوة عيسى - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الذين يحصرون في الطور في آخر الزمان، تكون نصرا للمسلمين، وهلاكًا لياجوج ومأجوج الذين هم كالجراد الذي يعم الأرض، شر الخلق والخلقة، وأشدّهم فسادًا وظغيانًا وجبروتًا.

وفي حديث الثّواس بن سمعان - رضي الله عنه - بعد قتل عيسى - صلى الله عليه وسلم - للمسيح الكذاب الدجال الذي يعيش في الأرض فسادًا، يقول في الحديث: **«إذ أوحى الله تعالى إلي عيسى - صلى الله عليه وسلم -: أني قد أخرجت عبادًا لي، لا يذنب لأحد بقتالهم - أي: لا طاقة لأحد بهم -، فحرّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله ياجوج ومأجوج، وهم من كل حذب ينسلون، فيمّر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها من ماء، ويمرّ آخرهم فيقولون، لقد كان بهذه مرة ماء»**.

ويحصر نبي الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه بالطور، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى الله عز وجل - فيدعونه، فيرسل الله عليهم النّفث في رقابهم - وهو الدود -، فيصيحون موتى كموت نفس واحدة.

ثم يهب نبي الله - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهّهم ونسّهم، فيرغب نبي الله عيسى - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى الله يدعونه، فيرسل الله تعالى طيرا كاصناق البخت، فتحملهم فتطرخهم حيث شاء الله. (رواه مسلم).

ودعاء النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - سيد البشر وأصحابه في بدر، كان نصرا للإسلام إلى الأبد، وخذلا لنا للكفر إلى الأبد، قال الله تعالى: **(إِذْ أَسْتَجَبُوا لِرَبِّكَ فَاسْتَجَبْ لَكَ أَيُّ مُسْلِمٍ يَالْفِ بِنِ)**

ودعا النبي - صلى الله عليه وسلم - وألح في الدعاء بيدراً حتى سقط رداؤه، فالتزمه أبو بكر من ورائه - رضي الله عنه -، وقال: كفى مُناشدتك ربك يا رسول الله، فإن الله مُنجز لك ما وعدك، فقال: «أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل - عليه السلام - يزغ الملائكة، على ثنياه النفع».

ولم تقاتل الملائكة مع نبي قبله، خُص بذلك لكمال فضله - عليه الصلاة والسلام - وقوة يقينه وتوكله على الله، وإخلاص أصحابه - رضي الله تعالى عنهم -

والدعاء بنصر الحق ودحض الباطل نصح لله وتكتابه ورسوله ولأنمة المسلمين وعامتهم، فلا يزهد في الدعاء ولا يهجره إلا من أضاع حظ نفسه في الدنيا والآخرة، وأضاع ما يجب عليه للإسلام والمسلمين، وفي الحديث: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

ولو تتبعنا آثار الدعاء وبركاته وخيراته ونتائجه العجيبة الطيبة، لطال السرد، وحسبنا ما أشرنا إليه.

وللدعاء شروط وأداب؛ فمن شروط الدعاء: أكل الحلال، ولبس الحلال، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لسعد بن أبي وقاص: «يا سعد! أطب مطعمك تستجب دعوتك».

ومن شروطه: التمسك بالسنة، والاستجابة لله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فمن استجاب لله استجاب الله له، قال الله تعالى: (وَإِذَا كَانَتْ عَذَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِنَا فَحَرِّمْ أَجِبْتُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذْ دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِي لَكُمْ يَوْمَ تَأْتِي الْبَقَرَةُ) (١٨٦)، وقال تعالى: (وَسَجِّدْ لِلَّذِينَ هُمْ عِندَ رَبِّكَ أَكْبَرُ) (الشورى: ٢٦).

وأما المظلوم فيستجاب له ولو كان كافراً أو مُبتدعاً. ومن شرط الدعاء: الإخلاص وحضور القلب، والإلحاح على الله، وصدق الاتجاه إلى الرب تعالى، قال - سبحانه -: (ادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (غافر: ١٤).

وفي الحديث: «لا يقبل الله الدعاء من قلب ساهٍ لاهٍ غافلٍ»، ومن شروطه: ألا يدعوا بإثم ولا قطيعة رحم، وألا

ومن أسباب إجابة الدعاء: الثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، والصلاة على النبي - عليه الصلاة والسلام -، وفي الحديث: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى»، وإذا دُعي به أجاب، (رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بُريدة - رضي الله عنه -).

وعن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - قال: بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاعد، إذ دخل رجل فصلّى، فقال: اللهم اغفر لي وارحمني، فقال - عليه الصلاة والسلام -: «عجلت أيها المصلي، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصل علي، ثم ادع»، (رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن»).

ومن آداب الدعاء وشروط قبوله: ألا يستعجل الإجابة، بل يصبر ويدأوم على الدعاء، ففي الحديث: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يُستجب لي»، (رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -).

فدأوم الدعاء معه الإجابة، وفي الحديث: «ما على وجه الأرض رجل مُسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»، فقال رجل: إذا تكرر؟ قال: «الله أكثر»، (رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»).

ورواه الحاكم من رواية أبي سعيد. وزاد فيه: «أو يدخر له من مثلها».

وعلى المسلم أن يتحرى أوقات الإجابة، قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات»، (رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن»، من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه -).

وفي الحديث: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من داع فاستجب له؟ هل

من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟
(رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة -
رضي الله عنه -).

وبين الأذان والإقامة لا يردُ الدعاء، وفي الحديث:
«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاكثروا
الدعاء» (رواه مسلم من حديث أبي هريرة).

وعند رؤية الكعبة، وعند نزول الفيث، وعند
الاضطرار، وبعد ختم القرآن، وبعد الصدقة.

فما أعظم سعادة وفلاح وأجر من عكف قلبه على
الله - تعالى -، يدعوه ويرجوه ويتوكل عليه،
ويستعين به، ويلجئ في الدعاء على الله، وما أشقى
وما أشد شرك وكفر من يدعوا الأضرحة والقبور
وأصحاب القبور، أو يستغيث بالأنبياء - عليهم
الصلاة والسلام -، أو الأولياء، أو يدعوه من دون
الله تعالى، أو يرفع حاجاته لملك مقرب، أو نبي
مرسل. فإن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -
جاءوا للدعوة الناس أن يخصوا الله تعالى
بالدعاء، ويضروه وحده بالعبادة والدعاء.

والأولياء أمرنا بالعمل بمثل عملهم، وبمحبتهم
والاقتداء بهم، ونهينا عن دعائهم، قال الله
تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)
(الجن: ١٨)، وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا
أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا) (الجن: ٢٠).

والغائب والموتى لا يستجيب أحد منهم الدعاء،
لأن الدعاء لا يقدر على إجابته إلا الله - عز
وجل -، قال - سبحانه -: (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا
كِبَاسُ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا
دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) (الرعد: ١٤). وقال
تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا
يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ
غَافِلُونَ) × وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين (الأحقاف: ٥، ٦).

وقال تعالى يخبر عن أفعاله وتدبيره: (يُولِجُ
اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ
رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ
مِنْ قُطْمِيرٍ × إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ
سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ

بشرككم وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) (فاطر: ١٣، ١٤).
وَلَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ فِي دَعْوَةِ أَحَدٍ مِنْ دُونِهِ مِمَّا كَانَ
مُقَرَّبًا، قال الله تعالى: (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ
بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (المائدة: ٧٢)، وقال -
سبحانه -: (وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
وَالنَّبِيِّينَ أَوْلِيَاءَ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ٨٠).

وفي الحديث: «من مات وهو يدعو من دون الله
لندا دخل النار» (رواه البخاري من حديث ابن
مسعود - رضي الله عنه -).

أيها المسلم:

ولا يقلد أحد أحدًا في الضلال والشرك، فما وقع
الشرك والكفر في بني آدم إلا بالتقليد، واتباع
الضالين المشركين، قال الله تعالى: (إِنَّهُمْ أَقْبُوا
أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ × فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ)
(الصافات: ٦٢ - ٧٠).

قال الله تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً)
(الأعراف: ٥٥، ٥٦).

عباد الله:

كونوا إلى الله راغبين، ولدعائه مداومين، فليسأل
كل أحد ربه ما يعلمه خيرًا له، وليستعذ بالله
مما يعلمه شرًا.

وأعظم سؤل هو رضوان الله والجنة، وأعظم ما
يُستعاذ منه هو النار.

ويلجئ المسلم على ربه في المطلب الذي يهمله،
فالله غني حميد كريم، جواد عظيم قادر، وفي
الحديث: «من لم يسأل الله يفضب عليه».

ويستحب للمسلم أن يتخير جوامع الدعاء الواردة
عن النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ كقوله تعالى:
(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (البقرة: ٢٠١)، وكان النبي
يدعوبها كثيرًا.

ومثل: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من
قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من
قول أو عمل.

اللهم انصر دينك، وكتابك، وسنة نبيك يا أرحم
الراحمين.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله
وآله وصحبه والتابعين، أما بعد؛
فإن من الظواهر التي عمت وطمّت، وأحس
الكثير من الناس بها: قلة البركة في الأموال
والأولاد والنفس والتمرات، وهي حالة طبيعية،
وسنة ربانية للحالة الدينية والأخلاقية
المتردة في الأمة، وربما لا يشعر بذلك أحد،
فلا ألفة، ولا مودة، ولا رحمة!! بل هموم
ومشاكل وخلافات وقضايا، لماذا؟ لأن الله لم
يبارك في زمان ولا مكان اعرض اهله عن طاعة
مولا هم.

العمر.. هو أغلى ما يملك الإنسان في الدنيا، قد
تمر عليه السنون والأعوام ولم يحصل شيئاً
من نفع الدنيا والآخرة، فتراه بين يدي الله
تعالى يوم القيامة عارياً من خير زاد، لباس
التقوى خير لباس!!

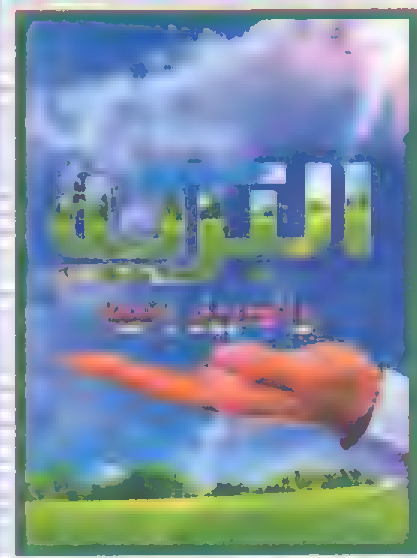
ومما يزيد الأمر خطورة أننا سوف نسال عن
أعمارنا، فيم قضيناها؟ فقد روى الترمذي عن
ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا آتَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَنْ عِنْدَ رَبِّهِ حَتَّى يُسَال عَنْ خُمْسٍ:
عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ،
وَمَالِهِ مِنْ آتَيْنِ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ
فِيمَا عَلِمَ».

قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر»: «ينبغي
لمن عرف شرف الوجود أن يحصل أفضل
الموجود فإن هذا العمر موسم والتجارة
تختلف، والعامة تقول: عليكم بما خف حمله
وكثر ثمنه. فينبغي للمستيقظ أن لا يطلب إلا
النفيس وأنفس الأشياء في الدنيا معرفة الحق
عز وجل».

إن للبركة صوراً وأشكالاً لا تعد ولا تحصى،
وكل بحسبه، فهناك بركة في الزمان والمكان
والأحوال، وغير ذلك، دعت الشريعة القراء إلى
الاستباق إليها جميعاً، وما ذاك إلا لخير أرادته
الله تعالى للأمة.

تعريف البركة:

البركة هي: النماء والزيادة، وهي شيء من خير
يجعله الله تعالى في بعض مخلوقاته، وتكون



البركة والسبيل إليها

الحلقة الأولى

احمد صلاح رضوان

اعداد

(الطلاق: ٨)، وقال الله تعالى: «وَصَرَفَ اللَّهُ تِلْكَ قَرِيَّةً كَانَتْ مَائِمَةً مَطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِسَانُ النَّارِ جُذُوعًا وَكَانُوا بِصُنْعِهِمْ مُنْكَرِينَ» (النحل: ١١٢)، وقال الله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسِرِّ

فِي مَسْكِينِهِمْ مَاءً» (سبا: ١٥).

إنها سنن الله في كونه وملكوته، «وَمَنْ يَأْتِ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُؤْمِرًا فَمَنْ أَتَمَّهَا عَلَى قَوْمٍ حَقَّ بِعَمَلِهِ مَا يَأْتِيهِ» (الأنفال: ٥٣). فما يصيب الناس من أزمات ونكبات هو نتيجة أعمالهم، فالله حكيم عدل، فهم يعيشون تحت بركة حسناتهم، أو شؤم سيئاتهم، وكلما استقام العباد على طاعة الله، استقامت لهم الدنيا، وتنزلت عليهم الخيرات والبركات، وهذه الخيرات والبركات لا يُنفصها على العبد إلا الذنب يصيبه.

فمن عن عبد الله بن عمر، قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن، ثم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين، وشدة المونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يظفروا ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بغض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم" (أخرجه ابن ماجه: ٤٠١٩).

وهكذا الذنوب!! ما حلت نذرها بساحة قوم إلا ساء صباح المنذرين.

قال ابن القيم في «زاد المعاد»: «ولم تنزل أعمال بني آدم ومخالفتهم للرسول تحدث فيهم من الفساد العام والخاص ما يجلب لهم من الآلام والأمراض والأسقام وسلب بركات الأرض». وروى الإمام أحمد أنه وجد في خزائن بعض بني أمية صرة فيها حنطة أمثال نوى التمر، مكتوب عليها: هذا كان ينبت أيام العدل.

في الأموال والأولاد والأنفس والثمرات، وكل ما لا غنى للعبد عنه، حتى الأنبياء والمرسلون لا غنى لهم عن بركة الله تعالى. فمن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَا أَيُّوبُ يُغْتَسِلُ غُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَخْتَشِي فِي ذَوْبِهِ فَتَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتَكَ عَمَّا تَرَى؟» قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك. (صحيح البخاري: ٢٧٥).

وكما أن الرزق من الله، فالبركة فيه من عند الله وحده، ولا تطلب إلا منه. فهو الذي يبارك، ويجعل الشيء مباركا، لكن ما عند الله لا يطلب إلا بطاعته، فإين الأمة من البركة!! وإين البركة من الأمة!!

سبل تحصيل البركة

١- تقوى الله عز وجل: «إنها مفتاح كل خير، مغلاق كل شر».

إن من أعظم أسباب جلب البركات، وتنزل الرحمت تقوى الله تعالى، قال الله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم مَّاكِنَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». (الأعراف: ٩٦). فقد أخبر الله تعالى أن أهل القرى لو آمنوا وإيماناً صادقا، صدقته الأعمال، وتركوا ما حرم الله، لفتح عليهم بركات السماء والأرض كيما يسب النحل، فكان عيشهم كأحسن ما يكون، لا عناء ولا تعب، ولا كد ولا نصب، ولكنهم خالفوا وعصوا فكان الجزاء: «فَأَخَذْتَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (الأعراف: ٩٦). بالعقوبات والبلايا ونزع البركات وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم!! فلو أخذهم بجميع ذنوبهم ما ترك عليها من دابة، قال الله تعالى: «مَهْلِكُ الْفَاسَادِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ لِيُذِيقَهُمْ نَعَضَ اللّٰهِ عَمَلُهُمْ بِرُحُونٍ» (الروم: ٤١)، فكم من أمة كانت في سعة من الرزق، ورغد من العيش، وسلامة في الأبدان، وأمن في الأوطان، ولكنها حادت عن منهج الله تعالى، فحل عليها العقاب، ونزل بها العذاب!! قال الله تعالى: «وَكُلِّينَ مِنْ قَرْيَةٍ عَمَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلُهَا فَجَعَلْنَاهَا حَسَكًا شَدِيدًا».

(رواه ابن أبي شيبة، وابن معين في تاريخه).

فالمعاصي تحقق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الزمان والمكان معاً، فإذا أظهر العباد ذنوباً تتابعات عليهم العقوبات، وكلما قلت المعاصي في الأرض ظهرت فيها اثار البركة من الله تعالى. قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ تَسْفَحُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ ذُنُوبَهُمْ تُسْفِكُوا وَلَهُمْ آثَرُهَا» (الجن: ١٦). والماء الفدق هو: الكثير. أي: لبسطنا لهم في رزقهم ووسعنا عليهم.

وعلى العكس «وَمَنْ يَرْزُقْ مِنْ دُونِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا شَدِيدًا» (الجن: ١٧)، فالجزاء من جنس العمل.

٢- إقامة شرع الله تعالى،

قال الله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ سَمِعُوا دُعَاءَ يَصْعَدُ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُنُوزَهُمْ أَجْمَعِينَ» (البقرة: ١٢٢). ولو أنهم آمنوا بالآخرة والإيمان وما أنزل إليهم من ربهم لأصبحوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم. أي: تصلحت حياتهم الدنيا ونمت، وهاضت عليهم الأرزاق، ولاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فيض الرزق، ووفرة النتائج، وحسن التوزيع، وصلاح أمر الحياة.

تقرر الآيتان حقيقة مهمة بمناسبة الحديث عن انحراف أهل الكتاب عن دين الله تعالى، وأكلهم أموال الناس بالباطل. وأن ذلك كان سبباً في منع البركة عنهم، بسبب عدم إقامتهم لدين الله تعالى وما أنزل إليهم.

فحين أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "حَدِّ يَغْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يَمُطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا". (رواه ابن ماجه، ٢٥٣٨).

٣- دعاء رب الأرض والسماء،

فالدعاء والاتجاء إلى الله تعالى من أعظم الأمور التي يفتح بها باب البركات على العباد. قاله تعالى هو الملائ وهو المعاذ. فقد كان دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي وَبَارِكْ لِي فِي مَارِزِقَتِي». (رواه الترمذي). أي: اجعل رزقي مباركاً محفوظاً بالخير، ووفقتي للرضا بالمقسوم منه، وعدم الالتفات لغيره.

وأما قوله: «ووسّع لي في داري، أي: وسّع لي في

مسكني في الدنيا؛ لأن ضيق مرافق الدار يضيق الصدر، ويجلب الهم، ويشغل البال.

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة النبوية والشام واليمن بكل خير وببركة. فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضَغْفِي مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ». (البخاري، ١٧٨٦). (أي: من بركة الدنيا).

ومما ورد في الشرع ببركة أرض الشام، ما ذكره الله تعالى في شأن انتقال بني إسرائيل إلى الشام: «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَكَّةَ الْأَرْضِ وَمَكْرَهَكُمْ أَلَيْسَ بِبَرْكَةٍ فِيهَا» (الأعراف: ١٣٧). وقال تعالى مخبراً عن هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى الشام: «وَيَعْتَبَرُوا وَلَوْ كُنَّا إِلَّا الْأَرْضِ أَلَيْسَ بِبَرْكَةٍ فِيهَا» (الأنبياء: ٧١). وسبحن أي أنزل من عباده. (الأنبياء: ٧١). «وَالسَّجْدَ الْحَرَامَ إِلَى التَّسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ» (الإسراء: ١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَفِي ثَمَارِنَا وَفِي مَدَنَانَا وَفِي صَاعِنَا». (رواه مسلم، ١٣٧٣).

ولكن.. كون الرجل من غير هذه البلاد لا يستلزم أنه مذموم إذا كان صالحاً مطيعاً حافظاً لحدود الله تعالى، والعكس بالعكس، فكم في مكة والمدينة والشام من فاسق وفاجر!! والفضيلة الدائمة في كل زمان ومكان بالإيمان والعمل الصالح. فإن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يُقدّس المرء عمله الصالح أينما كان.

ولحرص الإسلام على حلول البركة في البيوت من أول يوم قامت فيه، شرع الدعاء للزوجين بالبركة عند النكاح.

فحين أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رآه الإنسان إذا تزوج قال: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ». (سنن الترمذي: ١٠٩١).

وكانت ترفته الجاهلية للمتزوج أن يقولوا له: بالرفاء والبنين، والرفاء: الالتئام والاتفاق. فنهى صلى الله عليه وسلم عن هذه الترفنة،

وأرشد على خير منها، كما في الحديث، وهو الدعاء بالبركة، لأن دعاءهم في الجاهلية، بالرفاء والبئين، قصد به الدعاء بإنجاب الذكور فقط دون الإناث، وذلك لبغضهم البنات، ولهذا سن النبي صلى الله عليه وسلم لأمته خيراً من هذا، بل هو القائل صلى الله عليه وسلم: «لا تكرهوا البنات، فإنهن المؤنسات الغاليات». (رواه أحمد عن عقبه بن عامر).

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: تزوج عقيل بن أبي طالب فخرج علينا فقلنا بالرفاء والبئين فقال ما لا تقولوا ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن ذلك وقال قولوا بآرك الله لها فيك وآرك لك فيها. (رواه أحمد).

مما تجدر الإشارة إليه: أن حلول البركة في الزواج مرتبطلة بالتيسير والتسهيل في أمر الزواج، وأن أوفر الزوجات وأكثرهن بركة ما قلت المؤونة والكلفة في نكاحها؛ لما رواه ابن حبان والحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من يُمّن المرأة تسهيل أمرها، وقلة صداقها، (واليمن هو البركة).

وفي رواية: «إن من يُمّن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها». رواه ابن حبان. ومعنى: «تيسير رحمها» أي: للولادة، بأن تكون سريعة الحمل، كثيرة النسل.

ومن صور البركة التي رغب الإسلام فيها لأرباب البيوت: أنهم إذا دخلوا على أهلهم سلموا عليهم، فقد روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بني إذا دخلت على أهلِكَ فسلم، يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك».

فيكون السلام سبباً في زيادة البركة، وكثرة الخير والرحمة؛ لما ورد عن جابر بن عبد الله أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان:

لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أذركم المبيت. وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أذركم المبيت والعشاء». (رواه مسلم).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْسُطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يَنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (رواه البخاري: ١٩٦١).

ويسط الرزق هو: توسيعه، وكثرته، والبركة فيه، وأما التأخير في الأجل بقوله: «ينسأ له في أثره» أي: يؤخر في أجله، فكيف يكون؟ مع العلم بأن الأجل والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص. فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. (الأعراف: ٣٤). فالجواب المرضي في ذلك: أن هذه الزيادة بالبركة في عمره، والتوفيق للطاعات، وتحصيل المنافع، وعمارة الأوقات بذكر الله، وما ينفعها بين يدي الله تعالى، وعدم ضياعها في غير ذلك. وقيل: إن الزيادة والنقصان تكون بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة بما في أيديهم من القدرة، فيظهر لهم أن عمره ستون سنة، إلا أن يصل الرحم، فإن وصلها زيد في عمره أربعون سنة أخرى، وقد علم الله تعالى ما سيقع له من ذلك. وهو من معنى قوله تعالى: «يُمْنُو اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِي» (الرعد: ٣٩). أما بالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره فلا زيادة ولا نقصان.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار: يَغْمُرَانِ الدِّيارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ».

وعن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أصجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا». ومع الرضا بما قسم الله وقدر، والتعفف عما في أيدي الناس.

وللحديث بقية في العدد القادم إن شاء الله، والله الموفق والمستعان.

نظرات في الإجماع مدونات نقد الإجماع

محمد عبد العزيز

عدد ١

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وبعد،

الاستقراء تماماً أو ناقصاً، وقد يكون صاحبه واسع الاطلاع على مذاهب علماء الأمصار أو لا، وقد يكون واسع الدعوى فيرى ما ليس إجماعاً، إجماعاً. وقد يكون متحققاً مما يقول لكنه يقول ببعض أنواع الإجماع المختلف فيها. لذا فالحققون من أهل العلم لا يسلمون بالدعوى المجردة في هذا الباب، بل يدرسون هذه الدعوى فإن تحققت والا ردوها، وقد سبق كلام الشافعي وأحمد وغيرهما من أهل العلم في هذا الباب.

وقد قال شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٣/٣٧): ((ولا تعبأ بما يفرض من المسائل ويدعى الصحة فيها بمجرد التهويل، أو بدعوى أن لا خلاف في ذلك. وقائل ذلك لا يعلم أحداً قال فيها بالصحة، فضلاً عن نفي الخلاف فيها. وليس الحكم فيها من الجليات التي لا يُعذر المخالف فيها. وفي مثل هذه المسائل قال الإمام أحمد: "من ادعى الإجماع فهو كاذب.

فقد سبق أنه قد عني أهل العلم بنقل الإجماعات في مسائل العلم في مصنفاتهم، وهم في ذلك بين مقل ومستكثر، ومنهم من صنف في ذلك مصنفاً كالكتب السابقة، ومنهم من بثها في مصنفاته كمحمد بن نصر المروزي - وهو من أعلم الناس بخلاف أهل العلم كما قال الذهبي - ومن هؤلاء الطحاوي في شرح معاني الآثار، وابن المنذر في كتبه الإشراف والأوسط والإقناع، والطبري في اختلاف الفقهاء، وتهذيب الآثار، والمروزي في اختلاف العلماء، وابن عبد البر في كتابيه التمهيد والاستذكار، وابن هبيرة في إجماع الأنمة الأربعة واختلافهم، وهو جزء من كتابه الإفصاح الذي شرح به الجمع بين الصحيحين للحميدي، وكابن رشد الجند والحفيد، والنووي، وابن قدامة، وابن تيمية، وابن القيم، وابن بطال، وابن حجر غيرهم من أهل العلم، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. وهذا النقل للإجماعات في غالبه يقوم على الاستقراء لأقوال أهل العلم، وقد يكون

فإنما هذه دعوى بشر وابن عليّة يريدون أن يبطلوا السنن بذلك“.

يعني الإمام أحمد أن المتكلمين في الفقه من أهل الكلام إذا ناظرتهم بالسنن والآثار، قالوا: (هذا خلاف الإجماع)).

لذا عني أهل العلم بدراسة الإجماعات المدعاة في كثير من المسائل ولم يسلموا بمجرد الدعوى، وقد بثوا ذلك في كتبهم فلم يفرّدوا هذا النوع بمؤلفات خاصة فيه، ولا أعلم على مرّ التاريخ سوى مؤلف واحد في هذا الباب، وصاحبه - رحمه الله - لم يصرف عنايته لتتبع كل مسألة أدعي فيها الإجماع كما سيأتي. وقد اهتم أهل العلم في هذا العصر بهذا النوع من الدراسة - علم نقد الإجماع - وأفردت له بعض المصنفات، وهذه المصنفات هي موضوع هذا المقال - بعون الله تعالى وتوفيقه -

لكن قبل الشروع فيه أشير إلى الفرق الدقيق بين قولنا: نقد، ونقض.

فالأولى: نقد، تعني التمييز (كالتمييز بين الغث، والسمين)، فقد جاء في لسان العرب: **النَقْدُ والتَّنْقَادُ:** تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها.

أما الثانية: النقض، فهي تعني إبطال الخطأ، وهدمه أو إزالته أو إبطاله، جاء في لسان العرب: **النَّقْضُ:** إفساد ما أُبرِمت من عَقْدٍ أو بناء.

وسأذكر في هذا المقال بعض المصنفات التي عنيت بنقد مرويات الإجماع، وهذا أوان الشروع في ذلك.

١- كتاب نقض مراتب الإجماع المنسوب خطأ لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وقد عني في كتابه بنقض بعض الإجماعات التي ينقلها ابن حزم في كتابه: مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات.

وقد انتقض عليه ٤٢ إجماعاً من جملة ١٠٩٤ إجماعاً. نقلها لكن المؤلف لم يرد بهذا

الاستيعاب وإنما أراد مجرد التمثيل. فقد نقض مثلاً ١٤ إجماعاً على المصنف في كتابي الطهارة والصلاة من جملة ١٢٩ إجماعاً نقلها في هذين الكتابين، والإجماعات المنتقدة على ابن حزم في هذين البابين ضعف هذا العدد تقريباً كما في كتاب أحكام الإجماع والتطبيقات عليها للدكتور خلف الحمد.

قال المصنف - رحمه الله تعالى - (في نقض مراتب الإجماع المطبوع مع مراتب الإجماع (ص ٣٠٢)):

((وقد ذكر رحمه الله تعالى إجماعات من هذا الجنس في هذا الكتاب، ولم يكن قصدنا تتبع ما ذكره من الإجماعات التي عُرف انتقاضها، فإن هذا يزيد على ما ذكرناه.

مع أن أكثر ما ذكره من الإجماع هو كما حكاه، لا نعلم فيه نزاعاً، وإنما المقصود أنه مع كثرة اطلاعه على أقوال العلماء وتبرزه في ذلك على غيره، واشتراطه ما اشترطه في الإجماع الذي يحكيه، يظهر فيما ذكره في الإجماع نزاعات مشهورة، وقد يكون الراجح في بعضها خلاف ما يذكره في الإجماع.

وسبب ذلك:

- دعوى الإحاطة بما لا يمكن الإحاطة به.
- ودعوى أن الإجماع الإحاطي هو الحجة لا غيره.

فهاتان قضيتان لا بد لمن ادعاهما من التناقض إذا احتج بالإجماع.

فمن ادّعى الإجماع في الأمور الخفية بمعنى أنه يعلم عدم المنازع، فقد قضا ما ليس له به علم، وهؤلاء الذين أنكر عليهم الإمام أحمد.

وأما من احتج بالإجماع بمعنى عدم العلم بالمنازع، فقد اتبع سبيل الأئمة، وهذا هو الإجماع الذي كانوا يحتجون به في مثل هذه المسائل)).

قلت: لا بد من التنبيه على أمور:

الأول: طبع الكتاب باسم: نقد مراتب الإجماع والصحيح أنه: نقض بالضاد.

الثاني: أن الكتاب لابن شيخ الإسلامية حمزة بن موسى بن بدران المعروف بابن شيخ الإسلامية، قال الشيخ عبد الله التركي في كتابه المذهب الحنبلي «دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته، (٢ / ٣٨٧)، (ويوجد في عالم المطبوعات كتاب بعنوان "نقض مراتب الإجماع"، وهو مطبوع بهامش "مراتب الإجماع"، منسوباً إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ولم أجد له في المصادر التي ذكرت تصانيفه أن له كتاباً بهذا العنوان أو بعنوان مقارب، والذي يبدو في النظر أن هذا الكتاب المطبوع هو نفس كتاب ابن شيخ الإسلامية، ولكن ظن ناشره أو ناسخه أنه لابن تيمية من أجل كثرة النقول عنه في هذا الكتاب، ولا غرابة في ذلك، فقد كان ابن شيخ الإسلامية - كما قال مترجموه - من المعتنين بفتاوى شيخ الإسلام، المنتصرين لأرائه وأقواله، فليحذر. والله أعلم).

الثالث: أن الكتاب لم يعثر مصنفه بدراسة، وتتبع الإجماعات التي يذكرها ابن حزم لكنه أراد أن يبين، أن ابن حزم لم يوف بمنهجه الذي ذكره في أول كتابه، فنقض عليه شرطين التزمهما ولم يوف بهما وهما:

(دعوى الإحاطة بما لا يمكن الإحاطة به. ودعوى أن الإجماع الإحاطي هو الحجة لا غيره.)

ويعني بهذا إن نقل جمهور الإجماع الموجود في كلام الفقهاء بل، وفي كلام ابن حزم إنما هو عدم العلم بالمخالف، أما الإجماع الإحاطي بصورته المثلى الموجودة في كتب الأصول، والتي ادعى ابن حزم التزامه بها فإنه غير موجود واقفاً. ولذا قال: ((وأما من احتج بالإجماع بمعنى عدم العلم بالمتنازع، فقد اتبع سبيل الأئمة، وهذا هو الإجماع الذي كانوا يحتاجون به في مثل هذه المسائل)).

وقد عني كثير من الباحثين المعاصرين بدراسة الإجماعات التي ينقلها بعض الأئمة فمن هذه البحوث:

كتاب: أحكام الإجماع والتطبيقات عليها. من خلال كتابي:

- ابن المنذر، وابن حزم، في بابي الطهارة والصلاة تأليف د: خلف محمد الحمد، وقد تتبع من الكتابين ١٧٣ إجماعاً. وهي على التفصيل:

٨٥ إجماعاً لابن المنذر.

١٢٩ إجماعاً لابن حزم.

اشتركا في بعضها، وانفرد كل واحد منهما عن الآخر في بعضها، وغالب هذه الانفردات لابن حزم.

وجملة ما انتقده عليهما الباحث في هذا الكتاب ٣٠ إجماعاً في كتابي الطهارة والصلاة من جملة: ١٧٣ إجماعاً.

وقد سبق ذكر بعض الدراسات التي دارت حول كتابي ابن المنذر، وابن حزم - رحمهما الله -.

- كتاب إجماعات ابن عبد البر في العبادات جمعاً ودراسة، لعبد الله بن مبارك البوصي.

وهو كتاب جيد، والباحث يذكر فيه عبارة ابن البر في نقل الإجماع ثم يتبعها بذكر من وافقه على نقل الإجماع، ثم يذكر مستند الإجماع سواء ذكره ابن عبد البر أو لم يذكره.

فإن انتقد ابن عبد البر في نقله للإجماع، ذكر من خالفه من أهل العلم.

والمسائل في الكتاب غير مرقمة تسلسلياً.

وعدد الإجماعات التي أحصاها: ٣٣٥ إجماعاً، منها ٨٦ مسألة ذكر فيها الإجماع مع وجود مخالف.

وعدد الإجماعات التي انفرد ابن عبد البر بنقلها في هذا الباب: ٤٩ إجماعاً، والإجماعات التي شاركه غيره في نقلها: ٢٨٥.

- كتاب الإجماع عند الإمام النووي من خلال شرحه لصحيح مسلم، دراسة أصولية تطبيقية.

لعلي بن أحمد بن محمد الراشدي - رسالة ماجستير ١٤١٩ هـ من جامعة أم القرى، كلية الشريعة، وقد طبعته دار الفضيلة.

وهو كتاب يجمع بين التأصيل لدليل الإجماع

عند الإمام النووي وبين استقراء الإجماعات التي ذكرها الإمام ودراستها، والباحث لم يرقم مسائل الإجماع تسلسلياً ليعرف عدد الإجماعات.

وقد خلص الباحث إلى عدد من النتائج الإحصائية منها:

- عدد المسائل التي ذكر النووي فيها حكاية الإجماع، ولم يثبت: ٣٤ مسألة.

- عدد المسائل التي خالف فيها ابن المنذر في حكاية الإجماع: ٣ مسائل.

- عدد المسائل التي خالف فيها ابن حزم في حكاية الإجماع: ٩ مسائل.

- عدد المسائل التي خالف فيها ابن عبد البر في حكاية الإجماع: ٦ مسائل.

- كتاب إجماعات القاضي عياض في الفقه الإسلامي.

رسالة دكتوراه ١٤١٨هـ، د / صالح بن عثمان بن محمد العمري، جامعة أم القرى، كلية الشريعة.

وقد استقرأ الباحث عددًا من كتب القاضي عياض، فاستخرج منها ٣١٢ حكاية إجماع على النحو التالي:

- كتاب إكمال المعلم بشرح مسلم: ٢٨٤ إجماعًا.

- كتاب التنبیہات: ١٧ إجماعًا.

- كتاب الشفا بحقوق المصطفى: ١٠ إجماعات.

- كتاب الإعلام بحدود وقواعد الإسلام: إجماع واحد.

عدد المسائل التي لم يتحقق فيها الإجماع في نظر الباحث: ٦ مسائل.

كما أن هناك عددًا من الجهود تبذل لاستقراء مؤلفات بعض أعلام أهل العلم لاستخراج حكايتهم للإجماع ودراستها، مثل:

- إجماعات ابن قدامة في كتاب المغني جمعًا ودراسة وقد تم في عدد من الرسائل الجامعية في جامعة أم القرى.

ونهاية المقتصد).

- والإجماعات الفقهية في فتح الباري للحافظ ابن حجر وقد تم في عدد من الرسائل في الجامعة اليمنية، وجامعة أم درمان الإسلامية

- ومن هذه الجهود أيضًا جمع جهود العلماء في نقض دعاوى الإجماع غير الصحيحة كرسالة الإجماعات الفقهية (من كتاب الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج) التي نقضها الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري للباحث: عثمان علي فارح.

أكبر مشروعات جمع الإجماعات ودراستها:

- وأكبر مشروعات جمع الإجماعات ودراستها فيما أعلم مشروع مسائل إجماع الفقه الإسلامي، وهو جمع لإجماعات خمسين كتابًا فقهيًا وحديثيًا.

وقد سجلت فيها ست عشرة رسالة دكتوراه في جامعة الملك سعود، وكان نصيب كل رسالة ثمان مئة إجماع، فيكون عدد الإجماعات المدروسة اثني عشر ألف وثمان مئة إجماع (١٢٨٠٠).

بل وهناك جهود تبذل لجمع الإجماعات في علوم أخرى غير الفقه كالإجماع في التفسير، وقد سبق إلى هذا العمل د: محمد عبد العزيز الخضيري، والإجماع في الأصول، وقد سبق إلى هذا العمل مصطفى بو عقل في كتابه: إجماعات الأصوليين (جمعًا ودراسة) وقد ذكر المصنف ١٢٥ مسألة في جميع أبواب الأصول صحت فيها دعوى الإجماع في نظره، وبقي المسائل التي جمعها لم تصح فيها هذه الدعوى.

وهذه الجهود وغيرها تنتظر من يجمع بينها في نظم واحد لتكون أيسر في التناول والتنظيم، وهو جهد كبير لا يقوم به إلا المؤسسات العلمية.

هذا ما يسر الله لي ذكره في هذا المقال، فإن يكن صوابًا فالحمد لله وحده، وإن كانت الثانية فأسأل الله أن يفر لي خطئي ويزلي.

من نور كتاب الله بشرية الرسول

قال تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ بِي أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا. وَإِنَّ لَكُمْ لَشُرَكَاءَ" (فصلت: ٦).



من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن أبي الدرداء. عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة، والصيام، والصدقة؟" قالوا: بلى. قال: "صلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة". (صحيح الأدب المفرد).

من فضائل الصحابة

بشهادات آل البيت

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال، جاء رجل إلى أبي فقال: أخبرني عن أبي بكر قال: عن الصديق تسأل؟ قال: وتسميه الصديق؟ قال: كذلكك أمك، قد سمأه صديقاً من هو خير مني: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والمهاجرون والأنصار فمن لم يسمه صديقاً فلا صدق الله قوله. (سير أعلام النبلاء).

من دلائل النبوة

إخباره بميعاد الرجوع

عن أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك، فلما أتينا تبوك قال: أما إنها ستهدئ الليلة ريح شديدة، فلا يقوم أحد، ومن كان معه بعير فليعقلها، ففعلناها، وهبت ريح شديدة، فقام رجل، فآلقته بجبل مليء. (صحيح البخاري)

من أقوال السلف

عن أبي رباح شيخ من آل عمر قال: رأى سعيد بن المسيب رجلاً يصلي بعد العصر الركعتين يكثر، فنهاه عن ذلك فقال له: يا أبا محمد أيعذبني الله على الصلاة؟ قال: لا ولكن يعذبك الله بخلاف السنة. (سنن الدارمي)

من حكمة الشعر

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابياً ينشد، وإذا أظهرت أمراً حسناً فليكن أحسن منه ما تُسر فمسر الخير موسوم به ومسر الشر موسوم بشر. (العقد الفريد)

حكم ومواعظ

عن محمد بن كعب القرظي: قال: إذا أراد الله بعبد خيراً أزهده في الدنيا، وفقهه في الدين، ويشره عيوبه، ومن أوتيتهن فقد أوتي خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة (المنهاج في شعب الإيمان للحليمي)

من أمثال العرب

في الصدق

منه قولهم: من صدق الله نجا. ومنه قولهم: سبني وصدق. وقالوا: الكذب داء، والصدق شفاء. وقولهم: لا يكذب الرائد أهله، معناه أن الذي يرتاد لأهله منزلاً لا يكذبهم فيه. (العقد الفريد).



فوائد لغوية

الفرق بين شرقت الشمس وأشرقت الشمس؛ الأولى بمعنى " طلعت " والثانية بمعنى " أضأت "، (وأشرقت الأرض بنور ربها)

من دعائه

صلى الله عليه وسلم

عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم". (سنن النسائي)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(السماء قبله الدعاء) قال الشيخ الألباني، لم أقف له على أصل... بل ظاهر كلام شارح "العقيدة الطحاوية"، ابن أبي العز وغيره أن هذا الحديث المزعوم هو من قول بعض المؤولة، أو المعطلة الذين ينكرون علو الله على خلقه. (سلسلة الأحاديث الضعيفة).

من غريب الحديث

اللهم إنا نعوذ بك من وعاء السفر، أي: شدته ومشقته. مواضله من الوعث، وهو الرمل، والمشى فيه يشد على صاحبه ويشق. يقال: رمل أوعث، ورملة وعشاء. (النهاية لابن الأثير)

خلق حسن فالزمه

قال القرطبي- رحمه الله تعالى-: "إن من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار، بأن يوقر غيره. ويتوقر هو في نفسه". (نصرة النعيم).

خلق سيئ فاحذره

قال الحسن- رضي الله عنه-: "إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك" (أحياء علوم الدين)

دراسات شرعية أثر السياق في فهم النص

(الحلقة ٨٠)

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

الحلقة
السادسة

الطلاق في الحيض

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد، وصلنا في بحثنا في هذه المسألة إلى كيفية استخراج واستخدام القرائن بأنواعها المختلفة في التوجيه والترجيح. فذكرنا من القرائن العامة أولاً: أن الأحكام الشرعية لا تؤخذ من الأحاديث الضعيفة. وذكرنا الأحاديث الضعيفة التي وردت في تنايا البحث واستبعدناها. ثم ذكرنا: ثانياً، جمع روايات الحديث. حديث ابن عمر - العمدة في هذا الباب، وزيادة أبي الزبير، فذكرنا ثلاثة عناصر في هذه الجزئية ونستأنف البحث - بإذن الله تعالى -

منولي البراجيسي

إعداد

وهذه الرواية فيها الرد على من قال: إن لفظة (وهي واحدة) في الحديث تعود على الطلقة التي ستقع في الطهر بعد المراجعة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: لا قياس مع ورود النص الصريح،

القياس هو المصدر الرابع من مصادر التشريع عند الجمهور، وهو حجة، لكن حجته تكون عند عدم وجود نص خاص في المسألة، فإذا لم يوجد النص عمل بالقياس، ويكون هذا الحكم شرعياً ويسع المكلف اتباعه والعمل به. لكن إذا ورد في المسألة نص وهو قاطع للتراع، يعني ليس نصاً محتملاً لعدة تأويلات، فهنا لا يجوز القياس، فالقياس كالتيمم عند فقد الماء. فكما يكون التيمم طهارة في السفر عند فقد الماء، فإذا ما وجد الماء - وهو النص - لم يجز التيمم.

٤- رواية ابن حزم بسنده لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي حائض لا يعتد بذلك (انظر المحلى ٣٧٥/٩)، فوجدنا رواية للحديث عند ابن أبي شيبة في المصنف أطول من ذلك: أن ابن عمر سأل عن طلاق المرأة وهي حائض، أعتد بتلك الحيضة؟ فقال: لا. فهذه الرواية بينت أن السؤال لابن عمر لم يكن عن احتساب الطلقة من عدمه، إنما هو في احتسابها من عدة المطلقة أم لا. والحديث من نفس مخرج حديث ابن حزم (انظر مصنف ابن أبي شيبة ج ١٧٧٥٢).

٥- رواية الإمام مسلم لحديث ابن عمر (ح ١٤٧١) وفيه، أنه طلق امرأة له وهي حائض تطليقة واحدة، قال الإمام مسلم: جود الليث في قوله، تطليقة واحدة.

أبو محمد

جاء في الأولى ١٤٣٧ هـ - العدد ٨٣ - السنة الخامسة والأربعون

٢٨

وقد رأينا نصاً صريحاً وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما لسعيد بن جبيرة، حُسبت عليّ تطليقة (صحيح البخاري).

وكذلك رواية سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما التي صرح فيها سالم عن أبيه قوله: فراجعتهما وحُسبت لها التطليقة (صحيح مسلم).

يقول الحافظ ابن حجر في رده على ابن القيم، "ثم أطال من هذا الجنس - أي، القياس - بمعارضات كثيرة لا تنهض مع التنصيص على صريح الأمر بالرجعة، فإنها فرع وقوع الطلاق على تصريح صاحب القصة (ابن عمر) بأنها حُسبت عليه تطليقة"، والقياس في معارضة النص فاسد الاعتبار" (فتح الباري ٣٥٥/٩).

ومن ذلك استدلالهم على عدم وقوع الطلاق في الحيض قياساً على قاعدة: النهي يقتضي الفساد (وقد فصلنا الكلام عن ضوابط هذه القاعدة في العدد ٧٩) ففي مسألتنا لا يقاس على هذه القاعدة، لما إذا لأنه سيكون استخداماً لها مقابل النصوص التي تؤكد أن الطلقة قد احتسبت فالمرجع الذي نهى عن إيقاع الطلاق في الحيض، هو الذي أمر باحتساب تطليقة ابن عمر رضي الله عنهما، وبالتالي فلا مجال للقياس على هذه القاعدة في مسألتنا هذه.

رابعاً: الترجيح؛

وهو تقوية أحد الدليلين على الآخر ولا يصار إليه إلا بعد محاولة الجمع بين الأدلة المتعارضة فالجمع - إن أمكن - مقدم على الترجيح ولا يجوز ترجيح أحد الدليلين المتعارضين على الآخر بدون دليل. وأوجه الترجيح بين المتعارضين كثيرة جداً، لا يمكن حصرها، يقول الزركشي: "واعلم أن التراجيح كثيرة، ومناطها ما كان إحداهما للظن أكثر فهو الأرجح، وقد تتعارض هذه المرجحات، كما في كثرة الرواة، وقوة العدالة وغيره، فيعتمد المجتهد في ذلك على ما غلب على ظنه" (البحر المحيط في أصول الفقه ٨/١٨١).

وقد استخدمنا في بحثنا - الطلاق في الحيض - وجهين من أوجه الترجيح؛

١- الترجيح بكثرة الرواة وذلك في رواية أبي الزبير لحديث ابن عمر (ولم يرهما شيئاً)، فقد روى الحديث جمع غفير عن ابن عمر بدون هذه الزيادة مثل: يونس بن جبيرة، وأنس بن سيرين، وطاوس، ونافع مولى ابن عمر، وسالم بن عبد الله بن عمر، وسعيد بن جبيرة... وغيرهم. يقول الحافظ ابن حجر: ولا شك أن الأخذ بما رواه الأكثر والأحفظ أولى من مقابله عند تعذر الجمع عند الجمهور (انظر فتح الباري ٣٥٤/٩).

٢- الترجيح بما ورد في الصحيحين عن غيرهما، فروايات حديث ابن عمر في الصحيحين، ليس فيها زيادة أبي الزبير (ولم يرهما شيئاً).

٣- ترجيح رواية الأعلى رتبة (عدالة وضبطاً) على الأقل (عند تعذر الجمع)؛ فقد رأينا من ترجمة أبي الزبير أن حاله لا يحتمل تضرده ومخالفته لكل من روى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، خاصة الأثبات في ابن عمر، كنافع موله، وسالم ابنه. بل رأينا أن الرواة عن أبي الزبير اختلفوا عليه في إثبات هذه الزيادة (ولم يرهما شيئاً).

٤- ترجيح رواية صاحب القصة على غيره؛ فلو روى صاحب القصة أو الواقعة حديثاً وروى غيره حديثاً يخالفه قدمنا صاحب القصة أو الواقعة، لأنه أدري بها، فهي وقعت له، وهذا أدعى أن يضبطها ولا ينسأها. وابن عمر صرح بأن الطلقة قد احتسبت عليه وكان إذا سُئل عن طلاق الحائض - كما في رواية نافع - يفتي باحتسابها.

خامساً: لا يعارض الدليل الخاص

في المسألة بالدليل العام؛

إن لم يكن هناك دليل خاص في المسألة عمل بالدليل العام، لكن إذا ورد الدليل الخاص لا يحتج عليه بالعموم. وهذه المسألة ليست على إطلاقها، ومرد ذلك إلى أهل العلم المجتهدين الذين وقفوا على الشرع ويعلمون عمومته وخصوصه، فالغالب أن هؤلاء عندما يحتجون بالعموم فإنهم يعلمون عدم ورود دليل خاص

الله عليه وسلم، ولو كان الطلاق قد وقع لأمره بالإشهاد.

والإشهاد على الرجعة من الأمور الخلافية بين أهل العلم، فأكثر أهل العلم أن الإشهاد على الرجعة مستحب، وهو القول المروي عن ابن مسعود وعمار بن ياسر رضي الله عنهما، فمن راجع امرأته ولم يُشهد صحت الرجعة. قال النووي: "إن الإشهاد على الرجعة ليس شرطاً ولا واجباً في الأظهر" (انظر الموسوعة الفقهية ١١٣/٢٢ - ١١٤).

ثامناً: رجوع الصغابة رضي الله عنهم فيما يقع لهم من أحداث إلى النبي صلى الله عليه وسلم،

فالزمان زمان تشريع والنبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم، يهرعون إليه في كل ما يجد لهم من وقائع وأحداث، في كبير الأمور وصغيرها، بل كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عما يرون في مناهم من رؤى وأحلام، فمن البعيد جداً أن تقع واقعة طلاق ابن عمر لزوجته في الحيض، ويعلم أبوه عمر رضي الله عنه، عنها، ويذهب ويستفتي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرسول لا يفتيه بشيء، فيعود هو ليحتسب الطلقة على ابنه، أو يحتسبها ابنه على نفسه! كيف والزمان زمان تشريع؟ فقد كان الصحابة يستدلون على جواز أفعالهم بأنها وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حتى وإن لم يخبروه بها، لأن الله محيط بكل شيء.

كما يقول ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام (صحيح سنن الترمذي وغيره).

وكما قال جابر رضي الله عنه: كنا نعرل (أي عن النساء) والقرآن ينزل (متفق عليه).

لذا يقول الحافظ ابن حجر: "وإذا أخبر ابن عمر أن الذي وقع منه حسبت عليه بتطبيقه، كان احتمال أن يكون الذي حسبها عليه غير النبي صلى الله عليه وسلم بعيداً جداً، مع احتفاف القرآن في هذه القصة بذلك. وكيف يتخيل أن ابن عمر يفعل في القصة شيئاً برأيه، وهو ينقل أن النبي صلى الله عليه وسلم تقيظ من صنيعه" (فتح الباري ٣٥٣/٩).

فيها، وفي الطلاق في الحيض احتج بعض أهل العلم بأدلة عامة منها حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد (متفق عليه). وحديث... وكل بدعة ضلالة (مسلم وغيره)، ويعموم آيات الطلاق أمام حديث ابن عمر الذي هو نص خاص في المسألة.

**سادساً: العمل على العقبة الشرعية
مقدم على العقبة اللغوية،**

تنقسم الألفاظ إلى أربعة أقسام: ١- حقيقة لغوية. ٢- حقيقة شرعية. ٣- حقيقة عرفية. ٤- مجاز. فاللفظ إن بقي على أصل وضعه لغة، فهذه الحقيقة اللغوية، فإن غيره الشرع انتقل إلى الحقيقة الشرعية. وإن كان من ناحية عرف الاستعمال فهو الحقيقة العرفية. وإن كان من قبل استعمال اللفظ في غير موضعه لدلالة قرينة عليه، فهو المجاز.

وكلامنا هنا ينصب على تقديم الحقيقة الشرعية على اللغوية عند التعارض، يقول شيخ الإسلام، ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرفت تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم، لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم. وقال: فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله فإنه شاف كاف (انظر مجموع الفتاوى ٢٨٦/٧ - ٢٨٧).

وقد حمل بعض القائلين بعدم وقوع الطلاق في الحيض (المراجعة) في الحديث على المعنى اللغوي، كابن حزم وغيره، وتعتب بأن الحمل على الحقيقة الشرعية مقدم على اللغوية اتفاقاً (انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ٣٥٣/٩).

**سابعاً: عدم الإلزام في المسائل الخلافية
طالما احتملها الدليل،**

فهذه المسائل تكون محل اجتهاد لأنه لم يأت فيها نص صريح (قطعي الدلالة)، وقد رأينا في بحثنا أن هناك من احتج على عدم احتساب الطلاق في الحيض بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر ابن عمر رضي الله عنهما بالإشهاد على مراجعته لامرأته، كما أمر الله تعالى ورسوله صلى

تاسعا، الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال

سقط به الاستدلال

وليس معنى هذا أن الدليل لا يستدل به مع كل احتمال بل المراد الاحتمال القوي الذي احتقت به القرائن واعتضد بالاعتبارات لا بأي احتمال، لأنه ما من دليل إلا وتطرق إليه الاحتمال، ولو فتح باب الاحتمال لم يبق شيء من الأدلة إلا وسقط الاستدلال به بدعوى تطرق الاحتمال إليه.

ثم إن المراد بسقوط الاستدلال به أي على تعيين ذلك الوجه المراد الاستدلال به من الدليل، لا أن الاستدلال بالدليل يسقط جملة وتفصيلا (انظر: من أصول الفقه على منهج أهل الحديث. زكريا بن غلام قادر الباكستاني ص: ٣٤-٣٥).

وقد رأينا في قول ابن عمر ليونس بن جبير عندما سألته، أتعتمد بتلك التطبيقية؟ فقال: فمه، أو إن عجز واستحمق (متفق عليه). وهي كلمة تقال للزجر، لكن وجهها كل فريق لما يرى من رأيه، فالقائلون بوقوع الطلاق في الحيض - وهم الجمهور - قالوا معناه: فأي شيء يكون إذا لم يعتد بها، إنكارا لقول السائل، أيعتد بها؟ أفيسقط عنه وقوع الطلاق في الحيض

حمقه وعجزه.

والضريق الآخر القائلون بعدم وقوع الطلاق في الحيض، وجهوا الحديث توجيهها آخر، وهو أنه فعل فعلا يصيره أحقق عاجزا فيسقط عنه حكم الطلاق عجزه أو حمقه (انظر فتح الباري ٣٥٢/٩).

وإن كان التوجيه الأول للحديث وهو ما ذهب إليه الجمهور أرجح من حيث السياق إلا أن النص ليس صريحا لكل من المؤيدين والمعارضين، لاحتمال أن يحمل على هذا أو ذاك.

عاشرا، لا يدفع اليقين بالاحتمال

وهذا تفريع على القاعدة الفقهية الكبرى اليقين لا يرفع (لا يزول) بالشك، ففي رواية ابن أبي ذئب لحديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال ابن أبي ذئب أنه سمع سالما بن عبد الله بن عمر يحدث بذلك. (كما أخرج ذلك ابن وهب في مسنده) وقد أورد بعض العلماء هذه الرواية على ابن حزم فأجاب، بأن قوله، (هي واحدة) لعله ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزله بأن نقض أصله؛ لأن الأصل لا يدفع بالاحتمال (انظر فتح الباري ٣٥٣/٩).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء للأستاذ حسين عطا القراط مدير التحرير بالمجلة في وفاة المغفور لها بإذن ربها السيدة والددة زوجته. ونسأل الله أن يتغمدها بواسع رحمته وأن يلهم أهلها ومحبيها الصبر والسلوان. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عزاء واجب

توفي الشيخ عبد الكريم عبد المجيد حسن- رحمه الله تعالى- رئيس فرع أنصار السنة بحلوان، وكان رحمه الله من قدامى رجال جمعية أنصار السنة المحمدية. نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يلهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الحمد لله الذي علم وألهم حمد من آمن به واسلم. وفوض إليه أمره وسلم. وانتقاد لاوامره واستسلم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له علم الانسان ما لم يعلم. وصلى الله على نبيينا محمد خاتم أنبيائه وفتح أوليائه وسيد اصفياه **فانعم به وأكرم وبعد.**

هذه مقالة كتبها صبيحة وفاة والدتي - بزد الله مضجعا - بعد أن جاءني الخبر يحز النضير. ويهيج الزفير. وقد هفمت النفس بالضعداء. وجرى من العين الدمع وغلبنى البكاء. وحشر الضد بالنداء؛ فتعوذت بالله من اليأس والقنوط. وأخذت بلجام القلم قبل أن يضطرب ويلحقه السقوط. واستغثت بربي البصير فهو نعم المولى ونعم النصير.

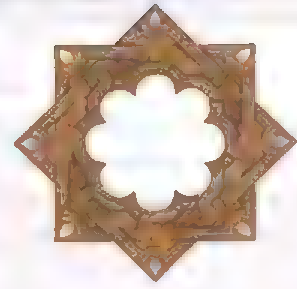
وهي مقالة تنبئ البصير الحاذق والفطن الزیض على السواء بقيمة الأم وفضلها، وعظيم الأجر والمثوبة المترتبة على البر بها، لاسيما ونحن في زمان كسدت فيه سوق البر، وخوى فيه نجم الخير. وبارت بضائع أهله.

وقد ذكرت في هذه المقالة كلمات من غرر العربية وعيون الفاظها- التي هي أداة العلم والله ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد (فقه اللغة وسر العربية، ص ١٥ لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي)- تفيض معاني وفهوماً، وتحوي نصائح وعُلوماً.

كما أن فيها من وصف قدر الأم وجلالة منزلتها وكريم شأنها معان باكية، عبزت عنها بالفاظ وافية تجعلها تذكرة وتعيها آذن واعية.

وأزجو أن لا تقيضها نفقة ولا ينقصها بذل ولا عطاء؛ فإن العلم يزكو بالانفاق والسخاء ويزيد بالجد والعطاء، بينما المال تنقصه النفقة.

والحمد لله على ما علم وألهم، والشكر لله على ما أولى به وأنعم، وأسأله سبحانه المزيد من فضله مع الشكر في قرن واحد. ومن الله أستمد الشداد وأستلهمه تعالى التوفيق لسلك سبيل الرشاد إنه سمیع قریب کریم جواد.

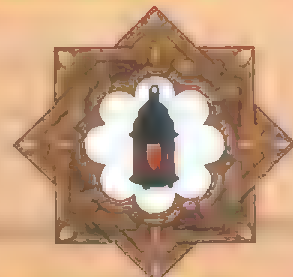


مَنْزِلَةُ الْأُمِّ فِي الْإِسْلَامِ

د. عماد عيسى

إهداء

نصائح في راحة الأوقات



منزلة الأم

إن منزلة الأم في الإسلام رفيعة في قدرها، عالية السنام في فضلها، عظم الإسلام شأنها، وأعلى مقامها، وفضلها أشهر من أن يذكر. وأعرف من أن يُنكر.

وعلى هذا تفاضلت الآيات البيّنات وتناصرت الأحاديث الضاحات السنيّات؛ فطوبى لمن انتبه لهذه المنزلة وأخذ بزمَامِها وعمل على إحيائها. وقد جاء لفظ «الأم» صريحاً في كتاب الله تعالى في سبعة مواضع وفي هذا دلالة على الأهمية.

الأول: «فَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مَخْرَجًا وَأَنْ يُمْسِكِ اللَّهُ الْعُرُوسَ أَيُّهُنَّ بِمَا يَزَكِّيْنَ» (البقرة: ٢٢١). والثاني: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مَخْرَجًا وَأَنْ يُمْسِكِ اللَّهُ الْعُرُوسَ أَيُّهُنَّ بِمَا يَزَكِّيْنَ» (البقرة: ٢٢١). والثالث: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مَخْرَجًا وَأَنْ يُمْسِكِ اللَّهُ الْعُرُوسَ أَيُّهُنَّ بِمَا يَزَكِّيْنَ» (البقرة: ٢٢١). والرابع: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مَخْرَجًا وَأَنْ يُمْسِكِ اللَّهُ الْعُرُوسَ أَيُّهُنَّ بِمَا يَزَكِّيْنَ» (البقرة: ٢٢١).

والخامس: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مَخْرَجًا وَأَنْ يُمْسِكِ اللَّهُ الْعُرُوسَ أَيُّهُنَّ بِمَا يَزَكِّيْنَ» (البقرة: ٢٢١). والسادس: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مَخْرَجًا وَأَنْ يُمْسِكِ اللَّهُ الْعُرُوسَ أَيُّهُنَّ بِمَا يَزَكِّيْنَ» (البقرة: ٢٢١).

والسابع: «يَوْمَ يَرَى الَّذِينَ لَا أَرْبَ لَهُمْ أَكْوَاعَهُمْ وَيَحْمِلُونَهَا فِي يَوْمٍ هَازِلٍ» (الاحقاف: ١٥).

ومن معاني لفظ «الأم» في العربية:

الأم بمعنى أصل الشيء وأصل وجوده وإصلاحه وتربيته، فهي اسم يطابق مسماه ولفظ يوافق معناه.

الأم أصل راسخ وفرع شامخ ومجد باذخ وعنصر نفيس كريم ومعدن في التماسه صميم.

قال الراغب الأصفهاني، وهي الوالدة القريبة التي ولدته، والبعيدة التي ولدت من ولدته.

ولهذا قيل لحواء: هي أمنا. وإن كان بيننا وبينها

وسائط

ويقال لكل ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أم.

قال الخليل: كل شيء ضم إليه سائر ما يليه يُسمى أمّا، قال تعالى: «وَلَقَدْ فِي أُمِّ الْكَرْبِ» (الزخرف: ٤) أي: اللوح المحفوظ وذلك لكون

العلوم كلها منسوبة إليه ومتولدة منه. وقيل لككة: أم القرى، وذلك لما روي: (أن الدنيا ذبيت من تحتها). وقال تعالى: «وَلَقَدْ فِي أُمِّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا» (الأنعام: ٩٢). وأم النجوم: المجرة، قال:

بَحِيثٌ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشُّوَاكِبِ
وقيل: أم الأضياف وأم المساكين، كقولهم: أبو الأضياف، ويقال للرئيس: أم الجيش كقول الشاعر:

وَأُمُّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدَتْ نَفْسُهُمْ
وقيل لفاتحة الكتاب: أم الكتاب لكونها مبدأ الكتاب. وقوله تعالى: «فَأَتَتْ هَاسِرَةً» (القارعة: ٩)، أي: مثواه النار فجعلها أمّا له، قال: وهونحو: «مَأْوَكُمْ الْقَارُ» (الحديد: ١٥).

وسمى الله تعالى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين فقال: «وَأَرْزُقْنَهُ أَهْلَهُنَّ» (الأحزاب: ٦) لما تقدم في الأب. اهـ. (المفردات: ٢٢-٢٣).

الأم صبح شامس ونور يبدد ظلام كل ليل دامس، كان الشمس تجري في جبينها والغمام من يمينها

الأم بركة من بركات الدنيا إذ تكون الأمور صعباً فإذا انتهت إليها ذابت الصعاب وذلك الهضاب وحل العذاب محل العذاب.

وقد يكون الشيء كأنما ضربت عليه الأقفال، ووضعت عليه الأغلال؛ فهو دون صاحبه مرتج، وأمام طالبه مغلق، فما تقوم الأم له حتى يُسَيِّ وَيُضَيِّحَ سهلاً ويُضَيِّحَ ويبيت ذلولاً ميسوراً.

كما قال القائل:

يَكُونُ أَجَاجاً دُونَكُمْ فَإِذَا مَا انْتَهَى

إِلَيْكُمْ تَلْقَى نَشْرَكُمْ فَهَيَّيْ

إن الأم نعمة لا يؤذي شكرها إلا من أراد الله به خيراً وذلك له سبل الخيرات دلالاً.

الأم مخاسن جمّة وأنيادي بيضاء وهذه حقيقة

لا تَنْقُضْ وَحْجَةً لَا تَدْخُضُ فَهَكَمَ أَعْطَلْتَ وَكَمْ جَادَتْ؟

الْأُمُّ زَهْرَةٌ عَبْقَةٌ وَرَوْضَةٌ نَضْرَةٌ يَفُوحُ مِنْهَا شَذَا الرِّيحِاحِينَ الْفِيَّاحِ.

الْأُمُّ حَصْنٌ حَصِينٌ وَرَكْنٌ رَكِيْنٌ وَأَصْلٌ أَصِيلٌ بَانَ فَضْلُهُ وَمَتْنٌ حَبْلُهُ.

الْأُمُّ دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ وَنِثَاءٌ مُسْتَطَابٌ فَهَكَمَ هَارَ بِدُعُوتِهَا فَانَزَرَ، وَهَارَ الْخَيْرِ بِرِضَاهَا فَانَزَرَ، بَيْنَمَا خَسِرَ دُعَاؤُهَا آخَرُونَ وَرَجَعُوا بِخُفْيِ خَلَّتِي وَصَفْقَةِ الْمُغْبُيُونَ فَهَكَمَ يَكُونُ الْبُيُوتُ وَالْبُعْدُ بَيْنَهُمَا؟ هَالِلَهُمْ لَا تَحْرِمْنَا فَضْلَكَ وَجُودَكَ يَا مَنَانُ.

الْأُمُّ نُورٌ سَنَاهُ لَا يَنْتَاهِي بَلْ يَمْحُو دُجَى اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا.

إِنَّ الْأُمَّ لَفُضْلَةٌ نَقِيَّةٌ وَكَلِمَةٌ نَقِيَّةٌ وَمَعَانٍ فِي الْبَرِّ وَالْعُطْفِ وَالْإِحْسَانِ لَا مَزِيدَ عَلَيْهَا، فَهَمَّهَا طَالِ مِنَ الْمَرْءِ فِي الْبَرِّ بِأَعْنٍ وَرَحْبٍ فِي النَّفْعِ ذِرَاعُهُ لَا يَبْلُغُ مَدَاهَا وَلَا يُوَفِّيها حَقُّهَا وَلَا مَعْنَاهَا فَشَكَرَ اللَّهُ مَسْعَاهَا وَأَتَاهَا سَبِيلَهَا وَهَدَاهَا.

إِنَّهَا كَلِمَةٌ يَتَضَاعَلُ دُونُ مَعْنَاهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ فَهِيَ كَالشَّجَرَةِ الَّتِي أُورِقَتْهَا وَنَبَتْهَا كَقَلَالِ هَجِيرٍ حَامِيَةٍ عَلَى السَّوَاءِ مِنَ الْحَرِّ وَالْظَّلِّ، عَظِيمَةِ الظِّلِّ، يَأْوِي إِلَى ظِلِّهَا مِنَ لُحْخِ هَجِيرٍ الْحَيَاةِ، أَوْ إِذَا هُ لَظَاهَا، وَيُؤَمِّنُهَا الْقَاصِي وَالِدَانِي فَلَا تَرُدُّ سَائِلَهَا وَلَا تَخْجَلُ قَائِلَهَا، تَقْرَأُ عَلَى صَفْحَةٍ وَجْهَهَا مَخَائِلُ الْكَرَمِ، وَتَلْحَظُ فِي كَفِّهَا شَمَائِلُ الْجُودِ، وَتَلْمَحُ فِي قَسَمَاتِهَا سِمَاتِ وَأَيَّاتِ الشَّيْمِ.

الْأُمُّ خَلْقٌ عَظِيمٌ وَمَعْنَى جَسِيمٌ، جَمَّةُ الْفَوَاضِلِ كَثِيرَةُ النَّوَافِلِ، رَاسِخَةُ الْعِرْقِ طَيِّبَةُ الْعَذْقِ، بَلْ هِيَ شَيْءٌ مَغْطَاءٌ تَمْنَحُ قَبْلَ السُّؤَالِ وَتَنْبِيلُ فَوْقَ مَا تَسْتَنَالُ، تَبْدُلُ مَا يَرْضَى بِهِ النَّاسُ، وَتَسْمَعُ بِمَا تَشْخُ بِهِ النُّفُوسُ، فَهِيَ فِي جَمَلَتِهَا جُودٌ بِغَيْرِ مَنْ، وَإِحْسَانٌ بِلَا ضَنْ.

الْأُمُّ قَدَرٌ عَالٍ وَشَيْءٌ عَالٍ، سَنِيَّةُ الْمَبْنَى سَمِيَّةُ الْمَعْنَى، هِيَ لِلدُّنْيَا شَمْسٌ صَحَاهَا وَيَذَرُ سَنَاهَا وَتَجَمُّ دُجَاهَا.

الْأُمُّ مِيزَانٌ عَدْلٌ لَا يَجِدُ الْمَرْءُ فِي نَفْسِهِ حَرَجًا مِمَّا تَقْضِيهِ وَلَا فِي صُدْرِهِ ضَبِيقٌ مِمَّا تَقْضِيهِ.

الْأُمُّ شِفَاءُ الْعِلَلِ وَرَوَاءُ الْفَلَلِ وَبِلَّةُ الضُّدَى وَنَقَاءُ قَطْرِ الْبُذَى.

لَقَدْ قَضَتْ فِي الْخِدْمَةِ وَالرَّعَايَةِ مَا لَمْ يَقْضِهِ غَيْرُهَا فِي حَمَلٍ وَوَضْعٍ وَرِضَاعٍ وَحِطَامٍ وَإِطْعَامٍ وَرِعَايَةٍ وَعِنَايَةٍ فِيهَا غَنِيَّةٌ وَكَفَايَةٌ حَتَّى يَسْتَوِيَ الْوَلَدُ عَلَى الْأَشَدِّ وَهَذَا بِلَا رَيْبٍ عَمَرُ إِنْسَانٍ فَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ قَضَى فِي شَأْنٍ عِدَدَ سَنِينَ وَمَنْ قَضَى فِيهِ يَوْمًا أَوْ يَغْضُ يَوْمًا؟ حَقًّا، إِنَّهَا عَطَاءٌ جَزَلٌ، وَأَحْسَانٌ فَضْلٌ لَا عَدْلٌ.

الْأُمُّ أَدَبٌ جَمٌّ، وَرُوحٌ تَرْفَعُ الْهَمَّ وَتَزِيلُ الْغَمَّ، تَوَدُّبٌ وَتَهَذُّبٌ، وَتَعْلَمُ وَتَنْشِئُ الْجِبِلَّ وَتُرَبِّي فَاطْفَرَ بِهَا تَرَبَّتْ يَمِينُكَ، فَإِنَّ مَنْ فَاتَهُ أَدَبُ الْأُمِّ وَخَلَقَهَا الْحَسَنُ فَقَدْ فَاتَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ سَيَنْدُمُ عَلَيْهِ لَا مَحَالَةَ.

كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ أَبُوهُ وَأُمَّهُ

تَوَدِّبْهُ رِعَايَاتُ الرُّدِيِّ وَزَلَّازِلُهُ
وَقَدْ لَا يُجْدِي ذَلِكَ لِفَوَاتِ زَمَانِهِ وَذَهَابِ أَوَانِهِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

يَقُومُ مِنْ مِيلِ الْغَلَامِ الْمُؤَدِّبِ

وَلَا يَنْفَعُ التَّأْدِيبُ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ
فَقَدْ الْأُمُّ

فَقَدْهَا يَعْدُ خَسَارَةٌ كَبِيرَةٌ يُوْرُثُ حُسْرَةً وَتُجْرِي عَيْرَةً، وَوَفَاتَهَا زُرَّةٌ أَصَابَ وَهَمٌ أَنَاخَ بِالْبَابِ، وَيَابُ إِلَى الْجَنَّةِ أَغْلَقَ دُونَ صَاحِبِهِ.

وَكُلُّ مُلَمَّاتِ الزَّمَانِ وَجَدَتْهَا

سَوَى فَرْقَةِ الْأَخْبَابِ هَيْئَةَ الْخُطْبِ
وَعِنْدَ فَقْدِهَا تَرْتَفِعُ الْأَصْوَاتُ بِالْبَيْكَاءِ وَيَكْثُرُ الضَّجِيجُ حَتَّى إِنَّ الْمَرْءَ لِيُخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مِنْ حَوْلِهِ تَبْكِي بَيْكَاءً وَاحِدًا، وَلَيْسَ هَذَا بِعَجِيبٍ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَبْكِ عَلَى فَقْدِهَا مَتَى يَبْكِي وَعَلَى مَنْ يَبْكِي؟

إِذَا لَمْ يُغْبِزْ خَائِدَةً فِي وَقُوعِهِ

فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْوُقُوعِ غِيَارٌ
فَقَدْ الْأُمُّ كَسْرَاجُ خَبَا وَثُوبٌ بَلِيٍّ وَمَصْبِاحُ انْفِلَاقٍ بَلْ هُوَ حُسْرَةُ الْأَبَدِ وَجَهْمَةٌ لَا تَنْطَفِئُ بَلْ تَنْتَفِدُ.

فَضِلُّ الْأُمِّ وَفَضْلُ بَرِّهَا فِي السَّنَةِ الْمَطْهُورَةِ

لِلْأُمِّ قَضَائِلٌ لَا تُحْصَى وَمُنَاقِبَاتٌ لَا تُسْتَقْصَى، فَهِيَ:

بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ بَلِ الْجَنَّةِ عِنْدَ رَجَائِهَا.

وَكُفَى بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ مُنْقِبَةً بِكَرًا تَدُلُّ عَلَى نَفَاسَةِ بَرِّ الْأُمِّ وَكَوْنِهِ عَمَلًا عَظِيمًا.

جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ - العدد ٢٢٢ - السنة الخامسة والأربعون

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِي أَمْرًا
وَأَنْ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ،
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:
«الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شُئْتَ فَاضْغِ
ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ». (رواه الترمذي (١٩٠٠))
وَابْنُ مَاجَهَ (٢٠٨٩) وَقَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ
صَحِيحٌ.

وروى ابن حبان في صحيحه من طريق عطاء بن
السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي: أَنَّ رَجُلًا
أَتَى أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي لَمْ يَزَلْ يَبِي حَتَّى
تَزَوَّجْتُ، وَإِنَّهُ الْآنَ يَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، قَالَ: مَا أَنَا
بِالَّذِي أَمَرَكَ أَنْ تَفْعَلَ وَالدَّكْ، وَلَا أَنَا بِالَّذِي أَمَرَكَ
أَنْ تَطْلُقَ أَمْرَاتِكَ، غَيْرَ أَنَّكَ إِنْ شِئْتَ، حَدَّثْتُكَ
مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ»
فَحَافِظُ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ، أَوْ ذَعْ، قَالَ: فَاحْسَبْ
عَطَاءً، قَالَ: فَطَلَقَهَا. (صحيح ابن حبان، ٤٢٥).

وعن طلحة بن معاوية السلمي رضي الله عنه
قال: أَتَيْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا
رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ:
أَمَّا حَيَّةٌ، قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «الْزَمْ رَجُلَهَا فَتَمِ الْجَنَّةُ». (رواه الطبراني
في الكبير (٨١٦٢)) وَهُوَ صَحِيحٌ.

**توصل وهي مشركة وتبر وهي على نقيض الملة
الحنيضية.**

الشرك بالله يقطع الأوصار الممتدة النواحي
المتشعبة الأطراف والنواحي غير أنه لا يفصم
العزى بين المرء والديه إذ إنهما أصل وجوده وسر
لحوقه بالحياة والله أعلم.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت:
قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَاصِلُ أُمِّي؟
قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ»، (رواه البخاري (٢٦٢٠))
وَمُسْلِمٌ (١٠٠٣).

وَأَبُو دَاوُدَ وَلَفْظُهُ عَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَى
أُمِّي رَاغِبَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَهِيَ رَاغِمَةٌ مُشْرِكَةٌ.
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ
رَاغِمَةٌ مُشْرِكَةٌ، أَفَاصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَصَلِي

أُمَّكَ». قَالَ الْمُنْذِرِيُّ، رَاغِبَةٌ، أَيْ طَامِعَةٌ فِيمَا
عِنْدِي تَسَالُنِي الْإِحْسَانَ إِلَيْهَا، رَاغِمَةٌ، أَيْ كَارِهَةٌ
لِلْإِسْلَامِ.

سَلَّتْهَا كَفَّارَةً لِلذَّنْبِ وَبَرَّهَا مَخَوً لِلخَطَايَا.

إِنَّ كَفَّارَةَ الذَّنْبِ مَطْلَبٌ عَظِيمٌ لَا يَنْطَوِي إِلَّا عَلَى
خَيْرٍ وَلَا يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ بِغَيْرِهِ بَلْ لَا يَدْخُلُ
أَنْ يَنْقُوَا مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَيَمُحَّصُوا مِنْ خَطَايَاهُمْ.

قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ يَنْفَعُ لَهُمْ مَغْفِرَةُ
رَبِّكَ». (الملك - ١٢).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُخْبَسُونَ عَلَى
قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصَّرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ
بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا
هَذَبُوا وَنُقُوا أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ». فَوَالَّذِي
نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا أَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي
الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا.

عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَتَى النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا
عَظِيمًا فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ هَلْ لَكَ مِنْ أَمٍّ قَالَ
لَا قَالَ فَهَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَبَرَّهَا.

رواه الترمذي واللفظ له وَاِبْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ
وَالْحَاكِمُ إِلَّا أَنَّهُمَا قَالَا هَلْ لَكَ وَالِدَانِ بِالتَّتْنِيَةِ
وَقَالَ الْحَاكِمُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا.

وَعَنْ طَيْسَلَةَ بْنِ مَيَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّجْدَاتِ،
فَاصْبَتُ ذَنْبًا لَا أَرَاهَا إِلَّا مِنَ الْكِبَائِرِ، فَذَكَرْتُ
ذَلِكَ لِابْنِ عَمْرِو، قَالَ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ مِنَ الْكِبَائِرِ، هُنَّ تَسْعُ، الْإِشْرَافُ
بِاللَّهِ، وَقَتْلُ نَفْسَةٍ، وَالضَّرَارُ مِنَ الرُّخْفِ، وَقَذْفُ
الْمُخَصَّنَةِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالْحَادُ فِي
الْمَسْجِدِ، وَالَّذِي يَسْتَسْخِرُ وَبِكَاءُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ
الْعَفْوِ، قَالَ: لِي ابْنُ عَمْرِو: أَتَفْرُقُ النَّارَ، وَتَحِبُّ
أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قُلْتُ: بَلَى، وَاللَّهِ! قَالَ: أَحَيَّ
وَالِدَاكَ؟ قُلْتُ: عِنْدِي أُمِّي. قَالَ: فَوَاللَّهِ! لَوْ أَتَيْتُ
لَهَا الْكَلَامَ، وَأَطَعْتَهَا الطَّعَامَ، لَتَدْخَلَتْ الْجَنَّةَ مَا
اجْتَنَبَتْ الْكِبَائِرَ. (الأدب المفرد، (٨)) وَهُوَ حَدِيثٌ
صَحِيحٌ.

نَسَالَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَنْ يَرْحَمَ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتَنَا،
وَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه كلمات يسيرات في قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، فنقول وبالله تعالى التوفيق: خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد:

امتاز أهل السنة والجماعة في مسائل الدين - أصوله وفروعه - بخصائص جعلتها أكثر موافقة للحق وأصابة له.

الخاصية الأولى: وحدة المصدر:

فوحدة المصدر من أميز مناهج أهل السنة والجماعة وخصائصهم، وهي: أن السلف الصالح (رضوان الله عليهم) كانوا لا يتلقون أمور دينهم إلا عن مشكاة النبوة، فلا يعتمدون على العقل أو الذوق أو الكشف، بل هذه الأمور إن صحت ووافقت الصحيح كانت معضدة لحجة السمع - ونعني بحجة السمع الكتاب والسنة - فكيف إذا عارضت هذه الأمور دلائل الكتاب والسنة، وكانت أكثرها جهالات وخیالات فاسدة.

قال الإمام الحافظ ابن عبد البر - رحمه الله تعالى -: ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتابه الله، أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الأحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له، ولا يناظر فيه. يعني: يتلقى كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم بالقبول والتسليم.

الخاصية الثانية: المنهج توقيفي:

هو منهج يقوم على التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، لا يردون منها شيئاً، ولا يعارضونها بشيء، لا بعقل، ولا ذوق، ولا منام، ولا غير ذلك، بل يقفون حيث تقف بهم النصوص، ولا يتجاوزونها إلى إعمال رأي أو قياس أو عقل أو ذوق؛ لأن هذا هو معنى أن منهج أهل السنة منهج توقيفي. لماذا؟ لأن هذا المنهج التوقيفي يعني أنه موقوف على الوحي الرباني. وقد التزم أهل السنة والجماعة بهذا المنهج، واستندوا على ذلك بقول الله - تبارك



قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة

د . عبد الله شاكِر

إهداء

وتعالى: «لَا تَجِدُ أُمَّةَ مُنْذِرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ» (الحجرات: ١)

الخاصية الثالثة: أنهم كانوا يتجنبون الجدل والخصومات في الدين؛

وبناء على ذلك كان لهم موقف واضح وصريح في مسائل الاعتقاد، من الجدل والخصومات، حتى عدوا الكلام والتمحل فيها من البدع، التي شددوا النكير على مقترفيها، وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه ويتنون عنه، وذلك كالكلام في رأي جهم الذي قد حمل لواء إنكار صفات الله عز وجل وكذلك الكلام في القدر وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالسكوت أحب إلي؛ لأنني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في دين الله إلا فيما تحته عمل.

الخاصية الرابعة: الاتفاق في مسائل العقيدة؛ لقد كان من ثمرة صحة المنهج وصدق قضاياءه أن يتفق أهل السنة على مسائل الاعتقاد مع اختلاف أعصارهم، وتباعد أمصارهم.

يقول الإمام الأصبهاني رحمه الله: ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وجددتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا.

القاعدة الأولى من قواعد الاستدلال عند أهل السنة

والجماعة، الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة

(أ) **فقه القاعدة:**

إن أهل الإسلام جميعاً آمنوا أن الله تعالى ربهم ومليكمهم، وأنه حكيم عليهم، قدير رحمن رحيم، أرسل الرسل لهدايتهم، وأنزل معهم الكتاب

والميزان؛ فما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله فالله أخبر به، وهو سبحانه إنما يخبر بعلمه، ويمتنع أن يخبر بنقيض علمه، وما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من حكم الله، والله أمر به، وهو العليم الحكيم. قال رب العالمين (تبارك تعالى): «كَرِهَ اللَّهُ شَهَادَةَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِمِثْلِهِ» **وَالْتَفِكَاهُ يَتَّهَدُونَ وَكَفَى بِأَنَّهُ شَهِيدًا** (النساء: ١٦٦).

وهذا يقتضي أن ما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم حق من عند الله يوافق علم الله ومراده؛ فالواجب على كل أحد أن يقابل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه بالتصديق الجازم والتسليم المؤكد، وأن يقابل ما أمر به أو نهى عنه بالطاعة والانقياد؛ فمن قبل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما أخبر به، فعن الله قبل، ومن أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر به فقد أطاع الله.

والإيمان بنصوص الكتاب والسنة على ضربين؛ أحدهما: إيمان مجمل؛ وهذا من فروض الأعيان؛ يعني: أنه يجب على كل أحد ممن أسلم وجهه لله تعالى، ورضي بالإسلام ديناً، وبالرسول (صلى الله عليه وسلم- نبياً ورسولاً) الإيمان بنصوص الكتاب والسنة، سواء أظهرت له معانيها، ووضحت مدلولاتها أم لا، فهذا حظ العامة، ومن لا يفهم العربية ومن في معانها ممن اشتبه عليه معنى آية أو حديث.

ثانيهما: الإيمان المفصل؛ وهذا من الفروض الكفائية وهو خاص بكل من قام عنده الدليل، ويان له المدلول، وظهر معناه فإذا حصل ذلك عنده صار الإيمان في حقه فرضاً متعيناً، وإلا فالأصل فيه أنه كفائي.

قال شارح (الطحاوية): ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على التفصيل فرض على الكفاية؛ لكن من قدر عليه وجب عليه تحصيله، طلباً لحماية الدين، وكفاية المسلمين بتعليمهم وتفهمهم إياه، وهو بحر تتفاوت فيه همم الطالبين، وتتناول عنده أعناق الراغبين، ويقدر المعرفة به تكمل المعرفة بالله وبدينه. قال الله تبارك تعالى: «وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْعَمَلِ فَلْيُجِدْ فِيهِ صِدْقًا مِمَّنْ دُونِ الْمُنْذَرِينَ» (المجادلة: ١١).

(ب) أدلة هذه القاعدة:

أولاً: القرآن الكريم:

أ- قال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوكَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (النساء: ٦٥)، فهذا قسم من الله تعالى بذاته الكريمة. مما يدل على عظم الأمر المقسم عليه وخطورته، مع تقدم «لا» على القسم وهي تدل على النفي وتظهر قوة هذا القسم، ثم أيضاً أنها كررت بعد القسم: زيادة في التأكيد على النفي، «فلا وربك لا يؤمنون» ثم قال بعد ذلك: «حتى يحكموك فيما شجر بينهم»، فنفي الله تعالى الإيمان عن كل أحد، وعلق حصوله ووقوعه على التحاكم للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في جميع الأمور الإخبارية والإنشائية وغير ذلك من الأدلة.

ثانياً: السنة النبوية المطهرة:

أ- ما رواه الإمام أحمد في مسنده، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أنه قال: «لقد جلست أنا وأخي مجلساً، ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مقضباً، قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: مهلاً يا قوم، بهذا اهلك الامم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم. وضريهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه». وهذا الحديث يفيد، أن تؤمن ونسلم لجميع ما ورد عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ب- ما ذكره الإمام الترمذي - رحمه الله تعالى - في سننه، عن أبي رافع وغيره، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه يقول: «لا ألقين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به، أو نهيت عنه؛ فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه، ففي هذا الحديث الإنكار الشديد على من آمن وصدق بالكتاب دون السنة، إذ هو تفريق بين الله ورسله، وإيمان ببعض وكفر ببعض، وعقد الإيمان يقتضي التصديق بجميع ما بلغه وأخبر

به الرسول صلى الله عليه وسلم من آيات الله والحكمة.

(ج) فوائد الالتزام بهذه القاعدة:

الفائدة الأولى: تحقيق معنى الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخبر ويأمر به شرط في تحصيل الإيمان، قال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوكَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (النساء: ٦٥).

الفائدة الثانية: مجانبة مسالك الأمم الضالة الذين ردوا على الرسل ما أخبروا به، واعترضوا عليهم بالاعتراضات الباطلة، كما قالت اليهود لموسى (عليه الصلاة والسلام): «أَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ رَىٰ اللَّهُ هَهْهَ» (البقرة: ٥٥)، فكل من أوقف الإيمان بالنصوص على شيء خارج منها كان فيه شبه من اليهود، وكذا ممن قال: «أَنْ تُؤْمِنَ حَتَّىٰ تُؤْزِلَ مَا أَوْفَىٰ رَسُولُ اللَّهِ» (الأنعام: ١٢٤).

الفائدة الثالثة: بطلان كون العقل وحده يستقل في تحصيل المعرفة الدينية، أو كونه شرطاً في تحصيلها، بحيث لا تؤمن بالنص حتى يوافقه العقل فيما دل عليه، ويقال هذا أيضاً في الكشف والذوق، فالعقل ليس شرطاً في أن يفهم ما جاء عن الله - تبارك وتعالى - ويدرك حقيقته، بل عليه أن يسلم، وأن يكل علمه إن اختلط عليه فهم شيء من ذلك إلى عالمه.

الفائدة الرابعة: من جعل الإيمان بالنصوص موقوفاً على موافقة العقل أو الذوق، لا فرق عنده بين وجود الرسول صلى الله عليه وسلم ووجود أخباره، وبين عدم وجوده وعدم وجود أخباره، وكان ما يذكر من القرآن والحديث والإجماع في هذا الباب عديم الأثر عنده، (والعياذ بالله تعالى) ومعنى ذلك: أن من لم يسلم للنصوص، ويوافق لها، ويشترط أن يقبل عقله هذا النص أو يجده في قلبه أو يميل إليه بذوقه أو غير ذلك، إذن هذا لم يسلم في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم ولا فرق عنده بين إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم من عدمه؛ لأن إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم عنده لم يستفد من وزانه شيئاً.

وللحديث بقية إن شاء الله

والحمد لله رب العالمين.

الخوارجُ شرُّ الخليقة

ما الذي فعله معهم أمير المؤمنين علي قبل قتالهم؟

الحلقة الثالثة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:
فقد وصلنا في الحلقة الماضية إلى الصفة الثامنة عشرة من صفات الخوارج وهي اختلاف العلماء في ثبوتها بهم وهي الكفر. وذكرنا قول الخطابي بإجماع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين.
ولصيق المساحة المتاحة للمقال لم نذكر قول ابن حجر في فتح الباري وهو يشرح حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف الخوارج حيث يقول:

جمال عبد الرحمن

إعداد

فهؤلاء خمسة وعشرون نفساً من الصحابة والطرق إلى كثرتهم متعددة كعلي وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وأبي بكر وأبي برزة وأبي ذر فيفيد مجموع خبرهم القطع بصحة ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فتح الباري لابن حجر (١٢/٣٠٢).

ما الذي فعله معهم أمير المؤمنين علي قبل قتالهم؟

قال ابن عباس: إنه لما اعتزلت الخوارج: (قوله: "اعتزلوا". قال السندي، أي، اعتزلوا عن جماعة المسلمين الذين كانوا مع علي، وكانوا أولاً معهم، وقالوا: لو كان علي أمير المؤمنين، كيف محا اسمه ذلك من كتاب الصلح الذي جرى

إلى الطريقة الشرعية حتى يعرض حاله ومقاله على منهج السلف ويوافقه ولا فلا.

نفوسهم ليست

محترمة في الشرع؛

أخرج الطبراني في الأوسط بسند جيد من طريق القرظي الشاعر أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد وسألهما فقال: اني رجل من أهل المشرق وإن قوما يخرجون علينا يقتلون من قال لا إله إلا الله ويؤمنون من سواهم فقالا لي سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول في: الصفة ١٩،

"مَنْ قَتَلَهُمْ فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ وَمَنْ قَتَلُوهُ فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ" ومع ذلك لم يهدر الشرع دمهم حتى يحملوا السيف.

وفي الحديث أَنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الدِّينِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْصِدَ الْخُرُوجَ مِنْهُ، وَمَنْ غَيْرِ أَنْ يَخْتَارَ دِينًا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ الْخَوَارِجَ شَرُّ الْفِرَقِ الْمُبْتَدَعَةِ مِنَ الْأُمَّةِ الْمَحْمُودَةِ وَمِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. قلت: والأخير مبني على القول بتكفيرهم مطلقاً.

وفيه منقبة عظيمة لعمر لشدة في الدين. وفيه أنه لا يكتفى في التعديل بظاهر الحال ولو بلغ الشهود بتعديله الغاية في العبادة والتقشف والورع حتى يختبر باطن حاله. قلت، يعني مهما بلغ مظهر الرجل وكلامه وعباداته وشعاراته فلا يكفي ذلك لتعديله والقول بهدايته

بيته وبين معاوية).

لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً وهم ستة آلاف، وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معه. قال، وكان لا يزال يجيء إنسان فيقول، يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك - يعني علياً - فيقول، دعوهم، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسوف يضعون. قال ابن عباس، فلما كان ذات يوم، أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له، يا أمير المؤمنين، أبردنا بصلاة، (أي انتظر قليلاً عن إقامة الصلاة) لئلي أدخل على هؤلاء القوم (الخوارج) فاكلهم.

الصفة ٢٠ (دمويون معتدون لا يؤمن جانبهم)

فقال علي، إني أخافهم عليك. فقلت، كلا، وكنت رجلاً حسن الخلق لا أؤذي أحداً، فأذن لي، فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن، وترجلت، ودخلت عليهم نصف النهار، فدخلت على قوم.

الصفة ٢١ (شدة عبادتهم)

ثم أرقوماً قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرخت من السجود، وأيديهم كأنها ثفن الإبل (أي، ركبها الغليظة)، وعليهم قمص مزرحة (أي، مفسولة)، مشمرين مسهمة وجوههم (أي، متقيرة ألوانها) من السهر، فسلمت عليهم، فقالوا، مرحباً يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قال، قلت، أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن

عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله.

الصفة ٢٢ (تشدهم وضيق صدورهم من خصومهم)

فقال طائفة منهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله قال، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا قُرَيْشًا إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ) (الزخرف: ٥٨).

فقال اثنان أو ثلاثة، لنكلمنه. فقلت لهم، تترى ما قمتم على صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمهاجرين والأنصار، وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد، وهم أعلم بتأويله منكم؟ قالوا، ثلاثاً. قلت، ماذا؟ قالوا، أما إحداهن، فإنه حكم الرجال في أمر الله عز وجل، وقد قال الله عز وجل، (إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا

بِشَيْءٍ) (الأنعام، ٥٧، ويوسف، ٤٠) وما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل؟ فقلت، هذه واحدة، وماذا؟ قالوا، وأما

الثانية، فإنه قاتل ولم ينسب ولم يغتم، (يعني، قاتل معاوية وأصحابه ولم يأخذ منهم الغنائم والسبايا الأسرى) فلئن كانوا (أصحاب معاوية) مؤمنين

ما حل لنا قتالهم وسباهم. قلت، وماذا الثالثة؟ قالوا، إنه محاً نفسه من أمير المؤمنين، إن لم يكن أمير المؤمنين، فإنه لأمر الكافرين.

قلت، هل عندكم غير هذا؟ قالوا، كفا هذا، فقلت لهم، أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا تنكرون وما يرد به قولكم

أترضون؟ قالوا، نعم، قلت لهم، أما قولكم، حكم الرجال في أمر الله عز وجل، أنا أقرأ عليكم في كتاب الله عز وجل ما ينقض قولكم، أفترجعون؟ قالوا، نعم. قلت، فإن الله عز وجل قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم لمن أرنب، وتلا هذه الآية، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا قُرَيْشًا إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ) (الزخرف: ٥٨).

فقلت، ومن قلة منكم فتبعنا قريشاً مثل ما نرى من الأمور يحكم به قوما عدو منكم إلى آخر الآية. (المائدة، ٩٥)، وفي المرأة زوجها، قال تعالى، (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَامْكُرُوا حَكَمَ

مَنْ فِيكُمْ وَحَكَمَ بَيْنَ قَوْمِهِمْ) (النساء، ٣٥)، فنشدتكم بالله، هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم، وحقن دماهم، أفضل، أم حكمهم في أرنب ويضع امرأة؟ فأيهما ترون أفضل؟ قالوا، بل هذه.

قلت، وأما قولكم، قاتل ولم ينسب ولم يغتم، فتنسبون أمكم عائشة؟ فوالله لئن قلتم، ليست بأمنا، لقد خرجتم من الإسلام،

ووالله لئن قلتم، نسبها نستحل منها ما نستحل من غيرها، لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين الضاللتين، إن الله عز وجل قال، (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍَ هُمْ صِدِّيقُونَ) (البقرة، ١٧٧).

فإن قلتم، ليست بأمنا، لقد خرجتم من الإسلام، أخرجت من هذه؟ قالوا، نعم. وأما قولكم، محا نفسه من

أمير المؤمنين، فإنا أتاكم بمن
ترضون، يوم الحديبية، كاتب
النبي صلى الله عليه وسلم
المشركين؛ أبا سفيان بن حرب
وسهيل بن عمرو، فقال: "يا
علي، اكتب، هذا ما اصطاح
عليه محمد رسول الله"، فقال
المشركون: والله لو نعلم أنك
رسول الله ما قاتلناك. فقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "اللهم إنك تعلم أنني
رسولك، أمح يا علي، اكتب، هذا
ما كاتب عليه محمد بن عبد
الله"، قال ابن عباس: فوالله
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم خير من علي، فقد محا
نفسه. قال، فرجع منهم ألفان،
وخرج سائرهم فقتلوا. انتهى.
وأخرجها عبد الرزاق
(١٨٦٧٨)، ويعقوب بن سفيان
في "المعرفة والتاريخ" ٥٢٢/١.
إن الله تعالى بعث نبينا
محمدًا صلى الله عليه وسلم
بالحق بشيرًا ونذيرًا، ليخرج
الناس ياذن ربهم من الظلمات
إلى النور، ويهديهم إلى صراطه
المستقيم، ويدلهم على الخير
ويحذرهم من الشر. وقد أخبر
هو صلى الله عليه وسلم بما
يوضح ذلك فقال فيما رواه عنه
صاحبه عبد الله بن عمرو
رضي الله عنهما: "إنه لم يكن
نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن
يدل أمته على خير ما يعلمه
لهم، وينذره شر ما يعلمه
لهم، وإن أمتكم هذه جعل
عافيتها في أولها، وسيصيب
آخرها بلاء، وأمور تنكرونها".
صحيح مسلم (١٨٤٤).

وقد حدث في حياته صلى
الله عليه وسلم أمور ووقائع كان
هديه فيها أحسن الهدى، وكان
المسلمون يأمنون الحاجة لمعرفة
صحيح السلوك وسقيمه إزاء
هذه الحوادث. التي كان منها
تلك الحادثة الخطيرة التي
أخبر عنها المصطفى صلى الله
عليه وسلم حادثة الخوارج
وأصلهم، وأوصافهم وخطرهم.
ولنستمع إلى هذا الإنذار من
سيد الأبرار صلى الله عليه
وسلم:

"عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَامَ فِينَا
فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِينَا فَقَالَ: "أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثَلَاثًا وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ". (سنن أبي داود (٤٥٩٧) وصححه الألباني).

قال الخطابي في "معالم
السنن" ٢٩٥/٤: في الحديث
دلالة على أن هذه الفرق كلها
غير خارجة من الدين، إذ قد
جعلهم النبي صلى الله عليه
وسلم كلهم من أمته. وفيه أن
المتأول لا يخرج من الملة وإن
أخطأ في تأوله. مسند أحمد
(١٢٥/١٤).

ويشبه هذا الحديث حديث
عزيراض بن سارية رضي الله
عنه قال: صلى لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفجر، ثم
أقبل علينا، فوعظنا موعظة
بليغة، ذرقت لها الأعين، ووجلت

منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا
رسول الله، كأن هذه موعظة
مؤدعة، فأوصنا قال: "أوصيكم
بتقوى الله والسمع والطاعة
وأن كان عبدا حبشيا، فإنه من
يعش منكم يرزى بعدي اختلافا
كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة
ال خلفاء الراشدين المهديين،
وعصوا عليها بالنواصي، وإياكم
ومحدثات الأمور، فإن
كل محدثة بدعة، وإن كل
بدعة ضلالة". مسند أحمد
(١٧١٤٤) (صحيح).

منى بدأ هذا الافتراق؟

مما تقدم يرى أن (رأس
الخوارج) على قول بدر الدين
العيني، ونواة وبذرة وأصل
الاختلاف حتى على رسول الله
ظهر في صورة هذا الرجل ذي
الخيصرة التميمي الذي قال
للنبي صلى الله عليه وسلم،
اتق الله يا محمد، اعدل فإنك
لم تعدل. وقال أكثر من هذا،
مما جعل النبي صلى الله عليه
وسلم يقول: «مَنْ يُطْعِ اللَّهَ
إِنْ عَصَيْتَهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ
الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟»، ويقول:
«مَنْ يَغْدُلْ إِذَا لَمْ أَغْدُلْ»،
ويقول: «وَيْلَكَ، أَوْلَيْتَ أَحَقَّ
أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟».

قال البريهاري: واعلم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «ستفترق أمتي على ثلاث
وسبعين فرقة كلها في النار إلا
واحدة، وهي الجماعة، قيل، يا
رسول الله من هم؟ قال: ما أنا
عليه اليوم وأصحابي».

وهكذا كان الدين إلى خلافة
عمرو وهكذا كان في زمن عثمان.

فلما قتل عثمان جاء الاختلاف والبدع، وصار الناس أحزاباً وصاروا فرقاً، فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير، وقال به ودعا الناس إليه، فكان الأمر مستقيماً حتى كانت الطبقة الرابعة في خلافة بني فلان انقلب الزمان وتغير الناس جداً، وفشت البدع، وكثرت الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة، ووقعت الحن في شيء لم يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه، ودعوا إلى الفرقة شرح السنة للبريهاري (ص: ٩١).

طريق تحقيق النجاة لأهل

السنة والجماعة في العاقبة

وقال: «أعلم أن الذي تحقق لهم هذه الصفة أمور منها قوله تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم»، والمحبة من الله تعالى في متابعة الرسول سبب محبة الرب للعبد فكل من كان متابعه للرسول صلى الله عليه وسلم أبلغ وأتم كانت المحبة له من الله أكمل وأتم وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وأكثر تبعاً لسنة من هؤلاء ولهذا سمو أصحاب الحديث وسموا بأهل السنة والجماعة.

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الفرقة الناجية قال: «ما أنا عليه وأصحابي وهذه الصفة تقررت لأهل السنة لأنهم ينقلون الأخبار والآثار عن الرسول صلى الله عليه

وسلم والصحابة رضي الله عنهم ولا يدخل في تلك الجملة من يطعن في الصحابة من الخوارج والروافض ولا من القدرية.

إن شهادة اثنين من أهل صفين غير مقبولة على باقية بقل ومن ردهم وطعن فيهم لا يكون متابعا لهم ولا ملايسا بسيرتهم ومنها ما جاء في رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الفرقة الناجية فقال الجماعة وهذه صفة مختصة بنا لأن جميع الخاص والعام من أهل الفرق المختلفة يسمونهم أهل السنة والجماعة وكيف يتناول هذا الاسم الخوارج وهم لا يزور الجماعة والروافض وهم لا يزور الجماعة والمعتزلة وهم لا يزور صحة الإجماع وكيف تليق بهم هذه الصفة التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومنها أنهم يستعملون في الأدلة الشرعية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة والقياس ويجمعون بين جميعها في فروع الشريعة ويحتجون بجميعها وما من فريق من فرق مخالفيهم إلا وهم يردون شيئاً من هذه الأدلة فيبان أنهم أهل النجاة باستعمالهم جميع أصول الشريعة دون تعطيل شيء منها.

ومنها أن أهل السنة مجتمعون فيما بينهم لا يكفر بعضهم بعضاً وليس بينهم خلاف يوجب التبزي والتفكير فهم إذا أهل الجماعة القائمون بالحق والله تعالى يحفظ الحق وأهله كما قال تعالى: «إنا نحن

نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون»، قال المفسرون أراد به الحفاظ عن التناقض وما من فريق من فرق المخالفين إلا وفيما بينهم تكفير وتبزي يكفر بعضهم بعضاً كما ذكرنا من الخوارج والروافض والقدرية حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فاهترقوا عن تكفير بعضهم بعضاً وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كفر بعضهم بعضاً حتى قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وقال الله سبحانه وتعالى: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً».

ومنها أن فتاوى الأمة تدور على أهل السنة والجماعة فريقي الرأي والحديث ومعظم الأئمة ينتحلون مذهبهم ويجمعون على طريقهم وهو الغالب على بلاد المسلمين فهم إذا أهل الجماعة من سائر أوجوه وكلهم متفقون على رد مذهب الروافض والخوارج والقدرية من أهل الأهواء والبدع. «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (ص: ١٨٦).

أما عن الأوصاف الأخرى للخوارج، وغيرهم من الفرق الأخرى، ووجود هذه الفرق من دلائل النبوة فقد أخبر بذلك وحديث افتراق الأمة. ونوع الاختلاف، والفرقة الناجية ووصفها. فهذا ما سيكون لنا معه وقفات في العدد القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

قصة الأملاك التسعة وحرارة الشمس



الطبعة (١٤٨٧هـ)

نواصل في هذا التحدير تقديم البحوث العلمية الجديبيه للعرى الكرمة حتى يقف على حقيقته هذه القصة وحتى لا يجرأ من لا دراية له بالصناعة الجديبية من مكرى السنة خاصة في هذه الايام فيخذ هذه القصة تشكيك في السنة بحجة وجودها في كتب السنة الأصلية. وإلى القارئ الكريم التخرير والتحقيق.

علي حشيش

مكتبة إمام الخميني

الموضح، (٢/٣٥٢/٢٨٨) قال: أخبرنا محمد بن الحسين القطان، أخبرنا عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقاق، حدثنا أيوب بن سليمان الصفدي، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع وعبد الحميد بن إبراهيم قالوا: حدثنا عفير بن معدان عن سليم بن عامر البخاني عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، بنحوه.

قلت: أخرجه الخطيب البغدادي تحت ذكر الراوي رقم (٢٨٨) قال: «ذكر عفير بن معدان الشامي»، ثم أخرج هذا الحديث الذي أوردهناه أنفاً ثم قال بعقبه: «وهو أبو عائد المؤذن الذي روى عنه بقية بن الوليد». أخبرنا القاضي أبو بكر الخيري، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرغ، حدثنا بقية، حدثنا أبو عائد المؤذن قال: حدثني سليم بن عامر، عن أبي أمامة قال، بنحوه.

فائدة:

للقارئ الكريم ولطالب علوم الحديث خاصة في معرفة مناهج المحدثين: فبعض هذا الحديث إلى «الموضح» للخطيب البغدادي، تبين أن هذا المصنف اسمه بالتفصيل: «موضح أو هام الجمع والتفريق».

وهو كتاب جليل المنفعة عظيم القدر اعتمد عليه

أولاً: المتن:

«وُكِّلَ بالشمس تسعة أملاك، يرمونها بالثلج كل يوم، وتولا ذلك ما أتت على شيء إلا أحرقته».

ثانياً: التخرير:

نذكر في هذا التخرير المصادر الأصلية التي أخرجت هذه القصة بأسانيدھا من مصنفیھا إلى النبی صلی اللہ علیہ وسلم حتى تستبين، أ- علّة هذه القصة.

ب- الاعتبار وذلك بتتبع الطرق لمعرفة التفرد أو المشاركة حتى نقف على حقيقة العلّة كما سنبين من تعقب بعض الأنمة على بعض.

ج- بيان التصحيح الذي وقع عند أحد المحدثين رحمه الله عند تحقيقه لهذا الخبر الذي جاءت به القصة.

١- أخرجه الحافظ الطبراني في الكبير، (٨/١٩٧) (٥٧٠هـ) فقال: حدثنا أبو زيد الحوطي، حدثنا أبو اليمان- وحدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي، حدثنا علي بن عياش قالوا: حدثنا عفير بن معدان، عن سليم بن عامر عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وُكِّلَ بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم، تولا ذلك ما أتت على شيء إلا أحرقته».

٢- وأخرجه الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في

المصنفون فيما بعد ومنهم الحافظ ابن حجر فنراه يذكر في كتاب «التهذيب» جملاً مقتطفة من كتاب «الموضح» حيث نقل في «التهذيب» (٢٧٩/٩) في ترجمة محمد بن عبد العزيز أبو روح الراسبي البصري الجرمي فقال: «وذكر الخطيب في «الموضح»: أن البخاري فرق بين الجرمي والراسبي ثم ذكر محمد بن عبد العزيز الكوفي.. قال الخطيب: الثلاثة واحد يقال له الراسبي والجرمي والتميي ويكنى أبا سعيد وأبا روح والله تعالى أعلم.. اهـ.

قلت: وبهذا يتبين من هذا الاختصار الشديد موضوع مصنف «موضح أوهام الجمع والتفريق» فالجمع عدل الاثنين فأكثر واحداً، والتفريق عدل الواحد اثنين فأكثر.

ويتطابق هذا على تخريج هذا الخبر الذي جاءت به القصة بين الحافظ الخطيب البغدادي أن عفير بن معدان الشامي في الطريق الأول هو نفسه أبو عائد المؤذن في الطريق الثاني، وقد يتوهم من لا علم له بهذا الفن الدقيق أنهما اثنان فوضحه الحافظ الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق»، وهذا الأمر مهم جداً في الصناعة الحديثية كما سنبين من التحقيق حيث إن العلة مركزة حول هذا الراوي.

٣- وأخرجه الحافظ أبو القاسم المهراني في «الفوائد المنتخبة» (ح١٢) قال: أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن محمد بن نصر السطوي حدثنا عثمان بن أحمد، حدثنا أيوب بن سليمان الصفدي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع وعبد الحميد بن إبراهيم قالوا: حدثنا عفير بن معدان به كما في الطريق الأول للخطيب في الموضح سنداً ومتمناً.

٤- وأخرجه الإمام الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (ح٦٣٩) قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد، حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، حدثنا عفير بن معدان اليحصبي، عن سليم بن عامر الخبائري عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وكل بالشمس سبعة أملاك يرمولها بالثلج وتولا ذلك ما أصابت شيئاً إلا أحرقت».. اهـ.

٥- وأخرجه أبو عمرو السمرقندي في «الفوائد

المنتقاة» (١٦١/١) (ح٥٢) قال: حدثنا أبو أمية حدثنا أبو اليمان، وعلي بن عياش أنبأنا عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة الباهلي مرفوعاً.

٦- وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣١٧/٦) (١٧٩٩/١٧٨) قال: حدثنا عمر بن سنان، حدثنا هشام بن عامر، حدثنا سلمة، حدثنا عفير بن معدان عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة بنحوه. ثم قال: «وهذا لا أعلم يرويه غير مسلمة بهذا الإسناد.. اهـ.

قلت: ومسلمة، هو مسلمة بن علي أبو سعيد الخشني الشامي.

٧- وأخرجه ابن الجوزي في «الواحيات» (٤٦/١) (ح٢٩) من طريق ابن عدي فقال: «أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال: حدثنا ابن مسعدة، قال: أخبرنا حمزة بن يوسف، قال: أخبرنا ابن عدي، قال: أخبرنا عمر بن سنان به، ثم قال: لا يرويه غير مسلمة، قال يحيى، ليس بشيء، وقال النسائي: متروك.. اهـ.

ثالثاً: بيان تصحيف:

قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١٩٣/٢) النوع (٢٥): «معرفة المصحف: هو فن جليل مهم، وإنما يحققه الحذاق من الحفاظ، والدارقطني منهم.. فقد أورد محدث الديار الشامية الألباني رحمه الله هذا الخبر الذي جاءت به القصة في «الضعيفة» (٤٦١/١) (ح٢٩٣) وعزاه إلى ابن عدي، وابن الجوزي، والطبراني في «الكبير»، وأبو عمرو السمرقندي في «الفوائد المنتقاة»، والخطيب في «الموضح»، كلهم عن عفير بن معدان عن سليمان بن عامر الخبائري عن أبي أمامة مرفوعاً.. اهـ.

قلت: بالنظر إلى هذا الإسناد نجد أن عفير بن معدان روى هذا الحديث عن سليمان بن عامر الخبائري، وهذا لا يصح باستقراء جميع طرق الحديث حيث جاء فيها الحديث عن عفير بن معدان عن سليم بن عامر الخبائري، فحديث عفير بن معدان عن «سليم بن عامر الخبائري» مضعف فقال: «عن سليمان بن عامر الخبائري».

قلت: ولقد تتبعنا الطبقات التي ذكر فيها الشيخ الألباني رحمه الله هذا الخبر من طبعة المكتبة الإسلامية لسنة ١٣٩٨هـ حتى طبعة دار المعارف

بالرياض لسنة ١٤٢٠ هـ كلها جاءت بهذا التصحيح
«سليمان بن عامر البخاري».

١- قلت: هذا ما بينه استقراء جميع طرق الخبر،
وكذا باستقراء من روى عن الصحابي الجليل ضدي
بن عجلان أبو إمامة الباهلي في «تهذيب الكمال»
(٢٨٥٥/٩٣/٩) للإمام المزي نجد «سليم بن عامر
البخاري» روى عن أبي إمامة ولم يوجد ما يسمى
«سليمان بن عامر البخاري».

٢- قلت: كذلك بالبحث في ترجمة سليم بن
عامر الكلاعي البخاري في «تهذيب الكمال»
(٢٤٦٩/٤٧٦/٧) نجده روى عن أبي إمامة ونجده
أيضاً روى عنه «عفير بن معدان».

رابعاً: التحقيق:

١- قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في
«تخريج الفوائد المنتخبة للمهرواني» (ح ١٢)،
هذا حديث غريب من حديث سليم بن عامر عن
أبي إمامة واسمه ضدي بن عجلان لا أعلم رواه
غير عفير بن معدان الحضرمي. ويكنى أبا عائذ،
واسناد هذا الحديث مما روى أيوب بن سليمان
الصفدي كلهم حميصون.. اهـ.

٢- من هذا يتبين أن هذا الخبر الذي جاءت به قصة
«الأملاك وحرارة الشمس خبر غريب انفرد به
عفير بن معدان الحضرمي، وهو علة هذا الخبر».

٣- لذلك أوردته الحافظ الهيثمي في «مجمع
الزوائد» (١٣١/٨) وقال، رواه الطبراني وفيه
عفير بن معدان وهو ضعيف جداً.. اهـ.

٤- ولقد أكد هذا التفرد والغربة الحافظ العقيلي
في «الضعفاء الكبير» (١٤٧٢/٤٣٠/٣) قال، «عفير
بن معدان عن سليم بن عامر ولا يتابع على حديثه
ولا يعرف إلا به».

ثم قال، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا عباس،
قال، سمعت يحيى قال، «عفير بن معدان ليس
بثقة».

ثم قال، حدثني أحمد بن محمود، حدثنا عثمان
بن سعيد، قال، قلت ليحيى، عفير بن معدان قال،
ليس بشيء.. اهـ.

٥- قلت، وبالرجوع إلى «تاريخ عثمان بن سعيد
الدارمي» (٥٣٦) قال، «قلت ليحيى بن معين، فعفير
بن معدان؟ فقال، ليس بشيء».

٦- وقال ابن عدي في «الكامل» (٣٧٩/٥)

(١٥٤٤/٥٧٦)، «عفير بن معدان يكنى أبا عائذ،
ثم أخرج بسندين عن يحيى بن معين قال، عفير
بن معدان حمصي وليس بثقة، وفيه سند ثالث قال،
ليس بشيء».. اهـ.

ثم أخرج بسنده عن أحمد بن حنبل، قال، «عفير
بن معدان منكر الحديث ضعيف».

ثم أخرج بسنده عن أبي مسهر عن محمد بن
شعيب قال، «أبناؤكم من حديث عفير وسعيد بن
سنان».

قلت: وهذه البراءة التي جمعت بين عفير وسعيد
بن سنان لتدل على دقة أئمة الجرح والتعديل:
فلاستقراء التام يدل على تمام التطابق بينهما.
فسعيد بن سنان قال فيه يحيى بن معين، ليس
بثقة، ومرة أخرى ليس بشيء. وقال البخاري، منكر
الحديث. وقال النسائي، متروك. وقال الجوزجاني،
أخاف أن تكون أحاديثه موضوعة. نقله الذهبي في
«الميزان» (٣٢٠٨/١٤٣/٢).

ثم أخرج الحافظ ابن عدي لعفير بن معدان أربعة
عشر حديثاً منكراً ثم ختم ترجمته فقال، ولعفير
بن معدان غير ما ذكرت من الحديث وعامة رواياته
غير محفوظة.. اهـ.

٧- ونقل الحافظ الذهبي ما أخرجه ابن عدي
من منكرات عفير، وأقوال أئمة الجرح والتعديل
وأقرها في «الميزان» (٥٦٧٩/٨٣/٣).

٨- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح
والتعديل» (١٩٥/٣٦/٧)، «سألت أبي عن عفير
بن معدان فقال، هو ضعيف الحديث يكثر الرواية
عن سليم بن عامر عن أبي إمامة عن النبي صلى
الله عليه وسلم بالناكير وما لا أصل له لا يشتغل
بروايته».. اهـ.

قلت: وهذه الإجابة من الإمام الكبير أبي حاتم
لابنه عبد الرحمن من دقيق فقه علل الحديث
ونقلها الحافظ في «الميزان» (٨٣/٣) وأقرها.

٩- وقال الحافظ الإمام ابن حبان في «المجروحين»
(١٩٨/٢)، «عفير بن معدان ممن يروي المناكير
عن أقوام مشاهير فلما كثر ذلك في روايته بطل
الاحتجاج بأخباره».. اهـ. وأخرج بسنده عن يحيى
بن معين قال، «عفير بن معدان ليس بشيء».. اهـ.

خامساً: التققيب على دعوى تفرد مسلمة الشني:

قال المناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير»

(٣٦٣/٦) (٩٦٢٩) بعد أن نقل عزو السيوطي الخبر الذي جاءت به القصة، (طلب عن أبي إمامة) أي الطبراني في الكبير، عن أبي أمامة قال، «قال الهيثمي، فيه عفير بن معدان ضعيف جداً».. اهـ.

ثم قال المناوي، «وتعصيب الجناية برأس عفير وحده يوهم أنه ليس فيه من يحمل عليه سواه والأمر بخلافه، ففيه مسلمة بن علي الخشني، قال في «الميزان» وإم، تركوه واستنكروا حديثه، ثم ساق له أخباراً، هذا منها، وقال ابن الجوزي، لا يرويه غير مسلمة، وقد قال يحيى، ليس بشيء، والنسائي متروك».. اهـ.

وقد أخرج الحافظ الخطيب البغدادي في «الموضح» عن أبي اليمان وعبد الحميد بن إبراهيم قالا، حدثنا عفير فأين دعوى تفرد مسلمة الخشني عن عفير؟

قلت، وانظر إلى دقة فقه الحافظ ابن عدي في قوله، «لا أعلم يرويه غير مسلمة بهذا الإسناد» فقيده بعلمه هو، أما ابن الجوزي أطلق وجزم بالتفرد فقال، «لا يرويه غير مسلمة، واعتبر بذلك المناوي ورد تعصيب الجناية برأس عفير وحده ولم يتتبع طرق الحديث كما بينا آنفاً.

سادساً: نقد الشيخ الألباني للمتن،

قال الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٤٦١/١) (ح ٢٩٣)،

«وهذا الحديث مع ضعفه الشديد إسناداً. فإني لا أشك أنه موضوع متناً إذ ليس عليه لوائح كلام النبوة والرسالة، بل هو أشبه بالإسرائيليات، ويؤيد وضعه مخالفته لما ثبت في علم الفلك أن السبب في عدم حرق الشمس لما على وجه الأرض، إنما هو بُعدها عن الأرض بمسافات كبيرة جداً! يقدرونها بمائة وخمسين مليون كيلو متر تقريباً، كما في كتاب «علم الفلك» للأستاذ طالب الصابوني الذي يدرس في الصف الحادي عشر في سوريا».. اهـ.

سابعاً: دعوى الوقف على الصعابي أبي إمامة:

قال الشيخ الألباني في ختام كلامه على هذا الخبر، «ثم رأيت الحديث رواه أبو العباس الأصم في «حديثه» (١/١١٤٥/٣) (رقم ٧٧- من نسختي) موقوفاً على أبي أمامة، فقال، حدثنا أبو عتبة، حدثنا بقرية، حدثنا أبو عائد المؤذن، حدثني سليم بن عامر عن أبي أمامة قال، هَذَا مَوْقُوفٌ

عليه وإسناده ضعيف والوقف هو الأشبه، والله أعلم. اهـ.

قلت، قول الشيخ الألباني رحمه الله عن هذا الحديث الموقوف، «إسناده ضعيف، والذي جاء من حديث أبي عائد المؤذن عن سليم بن عامر.

وقوله رحمه الله عن هذا الحديث المرفوع أنه موضوع متناً مع ضعفه الشديد إسناداً، وجعل علة عفير بن معدان وعصب الجناية برأسه وحده.

قلت، وكأني الآن أمام الحافظ الجبهن الخطيب البغدادي وهو يرد على هذا الوهم، حيث إن السند في المرفوع والموقوف واحد، فقد أخرج هذا الخبر الحافظ الخطيب البغدادي في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٣٨٨/٣٥٢/٢) مرفوعاً من حديث عفير بن معدان عن سليم وأخرجه موقوفاً قال، أخبرنا القاضي أبو بكر الخيري حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرغ حدثنا بقرية، حدثنا أبو عائد المؤذن قال، حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة موقوفاً.

فبعد أن رواه مرفوعاً من حديث عفير بن معدان قال، وهو أبو عائد المؤذن، ثم رواه بهذا الاسم موقوفاً حتى لا يتوهم ويعد الواحد اثنين وكأني أمام الخطيب في كتابه «موضح أوهام الجمع والتفريق»، وهو يحقق قول أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير»، كما أوردناه آنفاً فيما نقله الحافظ ابن حجر في «التهذيب»، وكأني في هذا التحقيق أمام الخطيب البغدادي وهو يخرج الخبر مرفوعاً وموقوفاً ويبين أن السند واحد، وأن العلة واحدة عفير بن معدان وهو نفسه أبو عائد المؤذن، وهو ليس بشيء وليس بثقة منكر الحديث رواياته غير محفوظة، كثرت المناكير في روايته، ويطل الاحتجاج بأخباره، يكثر الرواية عن سليم بن عامر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم بما لا أصل له لا يشتغل بروايته، تبرأ من حديثه الأئمة والصحابي الجليل ضدي بن عجلان أبو أمامة الباهلي يرى من هذه الواهيات والمنكرات مرفوعة وموقوفة. هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.. وبعد،

فمن غير شبهتي (الاشتباه في التسمية)
(وإدعاء التجسيم على المثبتين) اللتين
أفضنا في دحضهما لرد دعاوى الإيهام. وفي
إطار تبريرهم لصرف نصوص الصفات
الخبرية والفعلية إلى المجاز على ما هو
الشائع في عرف الأشاعرة، صرح جمع
غفير من متأخريهم بإحالة العقل حمل
غير (صفات المعاني) على الحقيقة. وتلك
شبهة أخرى عظيمة دفعت أهل السنة
على مدار القرون الماضية لأن يقرروا أن
مصدر التلقي لدى الأشاعرة هو العقل
وليس النقل وأن ذلك يناقض مذهبهم في
التحسين والتقييد الشرعي. وكان غاية
ما جنع إليه أولئك الأشاعرة أن نصوص
هذه الصفات أو (الظواهر الموهمة) كما
يسمونها، مجرد "ظنيات سمعية، في
معارضة كليات عقلية".

وتلك هي عبارة السعد التفتازاني
ت ٧٩٢ في كتابه مقاصد الطالبين ٣/
٣٦، وقد وقع في هذه الجريرة الزكراء،
كل من الضخر الرازي ت ٦٠٦ - قبل
تراجعها بالطبع - والأمدي ت ٦٣١
والإيجي ت ٧٥٦ والسنوسي ت ٨٩٥،
وغيرهم ممن حمل بقيدهم وانخرط
في عداد المتكلمة من يوم أن ظهرت
الفرق وإلى يوم الناس هذا.. وكان مما
قالوه واتكئوا عليه في هذا الصدد، إنه
(إذا تعارض العقل والنقل، قدم العقل
وأول النقل). وكان غاية ما استدلوا به
على ذلك: "أنا لو قدمنا النقل - في حال
التعارض - على العقل، لبطل العقل
وهو أصل النقل، وللزم بالتالي بطلان
العقل والنقل. فتعين تقديم العقل"
كذا في أساس التقديس للرازي ص ١٩٣،
١٩٤.. هذا مجمل ما دانوا الله به في
معتقد توحيد الله في صفاته الخبرية
والفعلية.

السنة (٧٩)

قوله في اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و (الفعلية) على ظواهرها دون المجاز

دعوى شبهات الأشاعرة التأسيسية
بتقديم النقل وتأويل النقل منه
التعارض على ما فهموا

إعداد:-

الأستاذ بجامعة الأزهر



دخول مراحله الثلاثه في هذه المراحله
نصت لغيره ونفسه بعد دعائ
لأنه وصف النفس

وجوابه، أن قولهم بأن نصوص
الصفات الخبرية والضعلية
"ظنيات سمعية" لا تفيد اليقين،
يرد عليه، هذه القرائن الوضعية
والعقلية والشرعية المتواترة
والتضافرة والقطعية الدلالة
والثبوت، والتي لا زلنا ننصبها
ونفيض فيها ونستدل بها على
عدم إحالتها بحقه تعالى.. كما
يرد عليه، أن القول بمجازية
هذه الصفات قاض بنفيها وعدم
إثباتها على الحقيقة، ومؤيد لا
محالة إلى نفي سائر ما أثبتوه من
صفات الذات وإلى تعطيلها وعدم
القطع بثبوتها هي الأخرى، ذلك
"أنا وإياهم، متفقون على إثبات
صفات (الحياة والسمع والبصر
والعلم والقدرة والإرادة والكلام)
لله تعالى، ونحن قطعاً لا نعقل
من (الحياة) إلا هذا العرض
الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك
لا نعقل من (السمع والبصر) إلا
أعراضاً تقوم بجوارحنا، فكما
أنهم يقولون، (حياته ليست
بعرض، وعلمه ويصره كذلك،
لكونها صفات كما تليق به لا
كما تليق بنا).. فكذلك نقول
نحن، (مثل ذلك بعينه، فوقيته
واستواؤه.. وكذلك نزوله ثابت
معلوم غير مكيف بحركة وانتقال
يليق بالمخلوق، بل هو كما يليق
بعظمته وجلاله.. وصفاته
معلومة من حيث الجملة والثبوت،
غير معقولة له من حيث التكيف
والتحديد)..
وبهذا يحصل الجمع بموجب

واجمعوا على أن صفته غير
وحر لا تشبه صفات المحدثين
كما أن نفسه لا تشبه نفس
المحوقين.. وعلى وصف
به بجميع ما وصف به نفسه
ووصفه به بيه من غير
اعتراض فسه ولا تكيف له.
وأن الإيمان بذلك واجب
وترك التكيف له لازم.

العقل بين الإثبات لما وصف الله
به نفسه، وبين نفي التحريف
والتشبيه والتجسيم، وذلك هو
مراد الله منا في إبراز صفاته لنا
لتعرفه بها ونؤمن بحقائقها
وننفي عنها الحدوث، ولا نعطلها
بالتحريف والتأويل، لا فرق
بين (الاستواء والسمع)، ولا
بين (النزول والبصر)، لأن الكل
ورد في النص، فإن قالوا لنا في
(الاستواء)، شبهتم، نقول لهم في
(السمع)، شبهتم، ووصفتم ربكم
بالعرض..

وإن قالوا، لا عرض بل كما يليق
به، قلنا، في (الاستواء والفوقية)
لا حصر، بل كما يليق به، فجميع
ما يلزموننا في (الاستواء والنزول
واليد والوجه والقدم والضحك
والتعجب) من التشبيه.. نلزمهم
به في (الحياة والسمع والبصر
والعلم)، فكما لا يجعلونها
أعراضاً، كذلك نحن لا نجعلها
جوارح ولا مما يوصف به المخلوق،
وليس من الإنصاف أن يفهموا في
(الاستواء والنزول والوجه واليد)
صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى
التأويل والتحريف.. فإن فهموا

في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن
يفهموا في الصفات السبع أيضاً
صفات المخلوقين من الأعراض..
فما يلزموننا به في تلك الصفات
من التشبيه والجسمية، نلزمهم
في هذه الصفات في العرضية،
وما ينزهون ربهم به في الصفات
السبع وينفون عنه من عوارض
الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في
تلك الصفات التي ينسبوننا فيها
إلى التشبيه سواء بسواء" انتهى
باختصار من كلام الإمام الجويني
ت ٤٣٨ في رسالته (النصيحة)
ص ٤٠، ٤٣ وهو بمختصر العلو
للألباني ص ٢٩، ٣١ ومجموعة
الرسائل المنيرية ١/ ١٨١ وما
بعدها..

وقد سبق أن ذكرنا من كلام
الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر
ص ٢١٦، ٢٢٦، قوله، "وأجمعوا
على أن صفته عز وجل لا تشبه
صفات المحدثين كما أن نفسه لا
تشبه أنفس المخلوقين.. وعلى
وصف الله بجميع ما وصف به
نفسه ووصفه به بيه من غير
اعتراض فيه ولا تكيف له،
وأن الإيمان بذلك واجب وترك
التكيف له لازم.."

كما ذكرنا من كلام الحافظ أبي
بكر الخطيب، قوله فيما نقله
عنه الذهبي في العلو ص ١٨٥
والألباني في مختصره ص ٢٧٢
وابن قدامة في (ذم التأويل) ص
١٧، إن "الكلام في الصفات فرع عن
الكلام في الذات ونحتذي في ذلك
حذوه ومثاله، وإذا كان معلوماً أن
إثبات رب العالمين إنما هو إثبات
وجود لا إثبات تحديد وتكيف،
فكذلك إثبات صفاته إنما هو

إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف. فإذا قلنا: (يد وسمع وبصر). فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه. ولا نقول: إن معنى (اليَدُ): (القدرة).. ولا نقول: إنها جوارح وأدوات للفعل. ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل. ونقول: إنما يجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها. ووجب نفي التشبيه عنها، فأنى لها بعد أن تكون موهمة أو غير يقينية أو يابها العقل ولا يدل عليها. إلا في ذهن مدعى ذلك؟

من أدلة القرآن على نافي وعده
بفرض العقل الصحيح لنفسه
نصحيح.. ويزل ذلك عن مسأله

شعب

والحق أن القول بتناهي الشرع مع العقل سواء في مسألة الصفات أو غيرها. باطل. فبطل ما أدى إليه.. ذلك أن السمع الصحيح لا ينفك عن العقل الصحيح، بل هما أخوان وصل الله بينهما في نحو قوله: (ولم يمدكم من ديد نذركم بيوم وحشا نهضت في وقتها فما نفي عنهم صفاتهم ولا نصرفهم ولا فقههم من نون). كما عجزوا عن شرب الله وحى به كما قال: (يشهدون). الأحقاف/ (٢٦)، حيث ذكر في علة ما حل بهم مع الجحود والتكذيب للوحي، عدم استعمال ما يتناول به العلوم وهي السمع والبصر والفؤاد الذي هو محل العقل.. وقوله: (وإذا قلنا نسمع أو نرى.. (١٠). حيث أخبروا أنهم خرجوا عن موجب السمع والعقل.. وقوله:



والحق أن بتناهي الشرع مع العقل سواء في مسألة الصفات أو غيرها. باطل، فبطل ما أدى إليه.



(ب) في ذلك لا بد لقوله
(سورة الروم/ ٢٣)، (ب) في ذلك لا بد لقوله
(التحل/ ١٢)، (أ) لا بد لقوله
(لقد علم أن على قلوب أقبه)
(محمد/ ٢٤)، حيث دعاهم
سبحانه إلى استماع آياته
باسماعهم وتدبرها بعقولهم..
وقوله: (ب) لا بد لقوله
(سورة الق/ ٣٧)، حيث جمع بين
العقل والسمع وأقام بهما حجته
على عباده، فلا ينفك أحدهما
عن صاحبه..

بل إن مما يدل على مكانة وأهمية وقدر العقل في القرآن قوله تعالى: (قل أرأيتم ما خلق من دابة الله التي لا تفهم ولا تتكلم ولا تعلم ولا يدرى ما يحكمون إلا أن يشاء الله). (الحقاف/ ١٧). فطالبهم بالدليل السمعي والعقلي.. والله در التنزيل، لا يتأمل العالم آية في ذلك من آياته، إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر، وتؤكد له أن الكتاب المنزل والعقل المدرك متآخيان

على عكس ما ادعى. وأنهما معا حجة الله في خلقه، وأن قرآنه الذي قررد ذلك هو الحجة العظمى.

وما ذكر هنا ينسحب على ما ادعى من تعارض العقل والنقل في باب الصفات الخبرية والفعلية. إذ يرد على تلك الدعوى بما يلي:

- أن العقل جازم بإثبات صفات الكمال له وامتناع أن يصف سبحانه نفسه أو يصفه رسوله بصفة توهم نقصا، ولا يختلف عاقلان في أن كل صفة دل عليها الكتاب والسنة - ومن ذلك بالطبع صفات الخبر والفعل - هي صفة كمال.

٢- أنه من هذا المنطلق ناطب بالعقل من ارتضوا بالتحاكم إليه من الأشاعرة. ونقول لهم: إذا كان الدليل العقلي قد دل لديكم على ثبوت (الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر) وأنها صفات كمال. فقد دل نظيره على سائر صفات الفعل والخبر. وإذا كان الدليل العقلي قد دل فيما تدينون الله به على أنه سبحانه فاعل بمشيئته واختياره. فقد دل كذلك على قيام أفعاله به وعلى أن ذلك هو عين الكمال..

يوضح هذا: أن أدلة مبيانة الله لخلقهم وعلوه على جميع مخلوقاته - مثلا - أدلة عقلية فطرية توجب العلم الضروري بمدلولها. وأدلة السمع على ذلك تقارب الألف دليل، فكيف بكم تثبتون ما هنالك من (صفات المعاني) وتناولون ما هاهنا؟!

وأني يتأتى لكم أن تؤمنوا ببعض الكتاب دون البعض ١٩.

٣- إن نفي الشبيه والمثيل والنظير - التي تتذرعون بها لنفي الصفات الخبرية والفعلية - لا يكون كمالاً ولا مدحاً إلا إذا تضمن كون من نفي عنه ذلك قد اختص من صفات الكمال بصفات باين بها غيره، وخرج بها عن أن يكون له فيها شبيه أو مثل أو نظير، فهو لتفرده بها عن غيره صح أن ينفي عنه الشبه والمثل، إذ لا يقال لمن لا سمع له ولا بصر ولا حياة ولا علم ولا كلام ولا فعل، ليس له شبه ولا مثل إلا من باب الذم والعيب، وهذا هو الذي عليه نظر الناس وعقولهم واستعمالاتهم، فعكس المعطلة هذا المعنى فجعلوا (ليس كمثله شيء) جنة يتترسون بها لنفي علوه تعالى على عرشه وإثبات صفات الكمال له.

٤- إن العقل السليم لا يمكن بحال أن يصطدم أو يتعارض مع ما جاء به النقل الصحيح، بل إن العقل يشهد له ويؤيده لسبب بسيط ومنطقي يتمثل في: أن الذي خلق العقل وهو الله، هو الذي أرسل إليه النقل وجعله صالحاً له في كل وقت وحين.. ولأن الإنسان صنعة خالقه كان هو سبحانه أعلم بصنعيته وبما يصلحه في كل زمان ومكان، فإذا وضع رب العباد نظاماً فبإلحاح حكمته وعلمه ولصالح صنعته (أَلَمْ يَلَمْ أَن يَخْلُقْ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (الملك/ ١٤)، وإذا ألزم عباده بمنهجه وشرعته، كان من المحال أن يضلوا أو يشقوا أو يعيشوا تحت



الكتاب المنزل والعقل المدرك متاحيان على عكس ما ادعي، وأنهما معا حجة الله في خلقه، وأن قرآنه الذي قرر ذلك هو العجة العظمى.



مظلته معيشة ضنكا.. ومعلوم بالضرورة أن أولى من يضع نظام التشغيل للمصنوعات -ولله المثل الأعلى- هو صانعها..

ومن هنا ساغ لابن القيم لأن يقرر ذلك في الصواعق ولشيخه لأن يضع قاعدته التي فيها يقول في مجموع الضاوي ١٢ / ٨١، ٦ / ٥٢٥: "كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح العقول، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيرا من الناس يفلطون إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده به، كان عارفاً بالأدلة الشرعية، وليس من العقول ما يخالف المنقول"، وإن "من قال بموجب نصوص القرآن والسنة، أمكنه أن يناظر الفلاسفة مناظرة عقلية يقطعهم بها ويتبين له أن العقل الصريح مطابق للسمع الصحيح"..

وهذا عينه ما سلكه الأشعري عندما ترك سبيل المعتزلة والمتكلمة، ونهج نهج سلف الأمة وعلى رأسهم أحمد بن حنبل، وكان منه ما كان من تأليفه كتب،

(الإبانة) و(مقالات الإسلاميين) و(رسالة إلى أهل النحر)، تلك الكتب التي دحض من خلالها بالحجة والبرهان وأدلة العقل قبل النقل، كل طريق يخالف طريق النبي وصحابته وتابعيههم بإحسان.

٥- إن القول بتعارض العقل مع النقل، مفض بالمعتقدين به إلى أنهم لا يستفيدون من جهة الرسول شيئا من الأخبار المتعلقة بصفات الرب وأفعاله. إذ عندهم أن تلك الأخبار أنواع، منها: ما يُقر به، ومنها: ما يجب تأويله وإخراجه عن حقيقته دون ما أصل في ذلك يرجعون إليه ولا دليل يستدلون به عليه، ومفض كذلك إلى أن وجود الرسول عندهم كعدمه في المطالب الإلهية ومعرفة الربوبية، بل إلى أن وجوده أضر من عدمه، لأنه فضلاً عن أنهم لا يستفيدون من جهته علما بهذا الشأن، احتاجوا إلى دفع ما جاء به إما بتكذيب، وإما بتأويل، وإما بإعراض وتضيي، فإن قالوا: إنه منزّه عن ذلك وممتنع عليه، قيل: فهذا إقرار باستحالة معارضة العقل للسمع، وبذا يكون إثبات التعارض قد استحال من الأساس، وعلم أن جميع أخباره لا تناقض العقل، وأضحى الأمر كما قال الشاعر:

فقد النقل سلماً من منافع

واسترحنا من الصداق جميع
والى لقاء آخر نستكمل الحديث..

واخر دعوانا ان

الحمد لله رب العالمين.

صبر الداعية على الأذى

عدد الأجزاء

العدد

« (الحج: ٦٧)، وقال سبحانه،
« (الرعد: ٣٦)، وقد قضت سنة الله أن
ذوي العصيان أكثر عدداً ممن يطيع الرحمن،
قال الله تعالى: «رَأَى كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَّسَقُوا»
(المائدة: ٤٩)، وقال تعالى: «... لَعَنَّا لَعْنَةً»
(الأنعام: ١١٦).

إذن لا بد للداعية إلى الله من زاد وافر من
الصبر، صابراً على ما يدعو إليه، صابراً على
ما يعترض دعوته، صابراً على ما يعترضه
من الأذى، فهذا هو الداعية الأول للأمة خاتم
الرسول وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم
بدأ الوحي ينزل عليه بالعقائد والشرائع،
فبدأت يواغى الحسد والسوء تتحرك تجاهه
في شدة لا تهدأ، وأخذ المستكبرون يرون في
أنفسهم أحقيتها بما يدعيه محمد صلى الله
عليه وسلم لو كان صحيحاً، فقالوا: «...»
(الزخرف: ٣١).

ورأوا فيما يتلو عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئاً غير مأثوف لهم، فلا طاقة لهم
بمثله، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يغير لهم ما يريدون تغييره مما يسمعون من
القرآن، بأن يجعل لهم الحلال حراماً والحرام
حلالاً، والوعد وعيداً، والوعيد وعداً، وذلك
قوله سبحانه: «...»

« (يونس: ١٥)،

ولقد غنى الإسلام بالعلم أبلغ عناية
وأتمها دعوة إليه، وترغيباً فيه، وتعظيماً
لقدره، وتنويعاً بأهله، وامتق الله على الأنبياء
الكرام بما آتاهم من العلم وذكر الله هذا الفضل
العميم في كتابه فقال عن يوسف الصديق
عليه السلام: «وَلَمَّا نَلِمَ اشْتَدَّ مَآبِنُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا»
(يوسف: ٢٢).

وقال عن كلمه موسى عليه السلام: «...»
(القصص: ١٤).
وقال تعالى لثبته محمد صلى الله عليه
وسلم: «وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ حَرْلًا مَّعْرُوفًا»
(النساء: ١١٣).

والدعوة إلى الله سبحانه من أبرز سمات
هذه الأمة - أمة محمد صلى الله عليه وسلم
التي فاقت بها سائر الأمم، يقول الله جل
وعلا: «...»
(آل عمران: ١١٠)، والمهمة الكبرى للأنبياء والمرسلين
والصالحين، قال الله لثبته محمد صلى الله
عليه وسلم: «...»
(يوسف: ١٠٨).

وقد كرر الله تعالى في القرآن الخطاب
إليه صلى الله عليه وسلم بأمره بالدعوة
إليه سبحانه والاستمرار عليها وعدم التخلي
عنها، فقال سبحانه: «...»

ويعلل هذا فيقول: «إِنَّ أَحَافَ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَنَّا يَوْمَ عَظِيمٍ» (يونس: ١٥)، ثم يتبع الله تعالى ذكره تعريف نبيه الحجة على هؤلاء الذين قالوا له: «أَنْتَ بِشْرَانِي عَمَّرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ» (يونس: ١٥)، فيقول له: قل لهم: «(يونس: ١٦)».

يقول الإمام القرطبي في ذلك: «أَيُّ لَوْ كُنْتَ مُتَحَلًّا مَا لَيْسَ لِي مِنَ الْقَوْلِ لَكُنْتَ اتَّحَلَّتَهُ فِي أَيَّامِ شِبَابِي وَحِدَاثَتِي. وَقَبْلَ الْوَقْتِ الَّذِي تَلَوْتَهُ عَلَيْكُمْ، فَقَدْ كَانَ لِي الْيَوْمَ- لَوْ لَمْ يُوحَ إِلَيَّ وَلَمْ أُوْمَرْ بِتِلَاوَتِهِ عَلَيْكُمْ- مَنُودِحَةٌ عَنْ مَعَادَاتِكُمْ، وَمَتَّسِعٌ فِي الْحَالِ الَّتِي كُنْتُ بِهَا مِنْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيَّ بِتِلَاوَتِهِ عَلَيْكُمْ». (تفسير الطبري، الجزء الخامس عشر).

ولم يدعوا سبيلاً يرون أن لهم فيه نهاية إلى غاية يرونها دائية أو بعيدة في محاولة إبطال الوحي أو صرف النبي صلى الله عليه وسلم إلا سلوكها، متناسين مكانته فيهم التي أقروا له جميعاً بها فسموه «الأمين»، فإن لم يفلحوا في صرف النبي صلى الله عليه وسلم عن الوحي فلا أقل من أن يدخلوا الريبة منه في قلوب من حوله ممن آمن به وممن لم يؤمن به، ولو إلى حين، لا يحملهم على ذلك إلا وغر صدورهم بالحسد، وإلا ما أنشبت فيها من ألف الباطل، وحجتهم: «إِنَّا وَجَدْنَا نَاسًا عَلَى أَثَرِ وَإِنَّا عَلَى مَا نَزَّلَهُمْ مُتَنَبِّئُونَ» (الزخرف: ٢٢).

سلكوا أولاً سبيل الاستكبار والإعراض، وجاهرُوا به حتى يراهم الأتباع فيصنعوا مثل ما صنعوا، ويوجدوا كما جحدوا، يرجون أن يقع اليأس في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ويسكت عن ضلالهم فلا يدعوه إلى الله. قال الله عنهم: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْمَوَدَّةَ» (فصلت: ٢٦).

وقال الله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» (سبا: ٣١). وقال تعالى: «وَلَا دَرَكْتَ رُسُلًا فِي الْقُرْآنِ وَحْدًا، وَلَمْ يَنْ تَسْمَعْ لَهُمْ» (الاسراء: ٤٦).

فلما رأوا أنهم لم يصيبوا نجحاً سلكوا ثانياً

سبيل الهزء والسخرية. قال الله تعالى: «رَأَى الْكَافِرُ كَذِبًا أَتَى بِمُتَشَبِّهِاتٍ لَّآ مَرُوءٍ» (الأنبياء: ٣٦).

وقال الله تعالى: «وَمَا بِأَنْبِيَاءٍ مِنْ رُسُلٍ إِلَّا كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ» (الحجر: ١١)، وعاقبة المستهزئين بالرسول إلى قباب وخسران، وهي سُنَّةٌ مضت في الأمم السابقة كلها التي هزئت وسخرت بأنبيائها. قال الله تعالى: «

فَبَلَّغْ نَكَاحَ الَّذِينَ سَجَرُوا لَهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» (الأنبياء: ٤١).

وقد عصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المستهزئين وكفاهم مكروهم، فليس لهم إليه من سبيل.

قال الله تعالى: «إِنَّا كَتَبْنَا لِلْمُسْتَهْزِئِينَ» (الحجر: ٩٥).

ولكيلا يكون للمستهزئين سبيل على أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ناههم عن الجلوس مع المستهزئين والاستماع والإصغاء إليهم، فقال تعالى: «إِذَا عِمَّتْ ذَاكْتَ اللَّهُ بِكُفْرٍ يَا مُشْرِكِينَ فَلَا تَغْفُوا لَهُمْ حَتَّى يُؤْمِنُوا فِي حَبِيبٍ قَرِيبٍ» (النساء: ١٤٠)، وإن أصروا على استهزائهم بالحق الذي جاءهم به نبيهم، فإن العذاب الأليم في انتظارهم، قال الله تعالى: «مَوْفٍ بِأَنْبِيَاءِهِمْ أَنْبَاءًا مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ» (الأنعام: ٥).

فلما لم يفلحوا في توهين وصرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن دعوته عن طريق الإعراض والصد والاستهزاء، لجئوا إلى أسلوب ثالث، وهو الاتهام بالسحرو والكهانة والجنون والشعر والكذب. وقد كانوا من يرون فيه الكمال الإنساني كله في حكمته وصدقته وأمانته، فلما أن جاءهم بشيراً وتذيراً بأمر من ربه نابذوه الخصومة، وبارزوه العداوة، وألقوا الاتهام عليه، الذي لا ينبئ إلا عن حسد يأكل صدورهم، وخوف على مكانتهم التي توارسوها كابراً عن كابر أن تسقط، فاتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بالسحر، قال الله تعالى: «وَقَالُوا أَتُحِبُّونَ إِنْ تَسْمُوكَ إِلَّا سِحْرًا مُسَوِّغًا» (الفرقان: ٨).

وقال الله تعالى: «وَمَنْ أَغْوَى مَا يَسْمُونُ بِهِ» (يسمنون ذلك وإذا هم يقولون لعل الغيب ظهر إلينا فسألنا بآياتنا)

«(الإسراء: ٤٧)».

ثم استطالوا بتهمة الجنون، وهي أشد وأعظم من التهمة بالسحر.

وقد سجل القرآن الكريم هذه التهمة في كل حالاتها التي صورت حقيقة نفوسهم وهم يقدِّهون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فتارة يصرخون بهذه التهمة صرخاً لا يملكون معه إخفاء ما تجيش به نفوسهم من حقد باطن، قال الله تعالى عنهم: «(الحجر: ٦)».

وتارة يتداولون هذه التهمة فيما بينهم عالمين أنهم يخادعون أنفسهم، قال الله تعالى: «(الصفات: ٣٦)».

وتارة يقولونها وهم أشبه ما يكون في حالة يأس وقنوط من قناعتهم هم أنفسهم بهذه التهمة.

قال الله تعالى: «(الدخان: ١٤)».

وتارة يحكونها وقد اعترتهم البغضاء والحسد في أشد حالاتهما ظانين أنهم يقنعون أنفسهم بها، قال الله تعالى: «(القلم: ٥١)».

ويحكي تعالى استخفافهم واستغرابهم بأنفسهم عقيدتهم المتوارثة الباطلة مما جاءهم به من عقائد غريبة عنهم.

قال الله تعالى: «(سبا: ٧-٨)».

ويثبت القرآن من قلب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يأمره أن يذكر الناس بما أرسل به من عند ربه غير ناظر إلى ما يقولون داحضا بقوة تلك الفرية، قال الله تعالى: «(الطور: ٢٩)».

ولكنهم كانوا يصفونه بالحكمة والعقل، قال الله تعالى: «(الأعراف: ١٨٤)».

ويذكر القرآن النبي صلى الله عليه وسلم

بأن هذه التهمة قد أُلقيت على الأنبياء قبله، فلا يياس ولا يحزن، قال الله تعالى: «(الذاريات: ٥٢-٥٣)».

ويستغل الحق في قلوبهم حتى يصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر، وقد جمع مع الشعر الجنون.

قال الله تعالى عنهم: «(الأنبياء: ٣-٥)».

وقال الله تعالى: «(الصفات: ٣٦)».

ثم يدفع القرآن هذه التهمة دفعا قويا، ويردها عليهم، قال الله تعالى: «(يس: ٦٩)».

وقال الله تعالى: «(الحاقة: ٣٨)».

ثم اتهموه صلى الله عليه وسلم بالكذب، قال الله تعالى حكاية عنهم: «(ص: ٤)».

وتكرر المعنى نفسه في موضع آخر بلفظ آخر، وذلك قوله سبحانه: «(القمر: ٢٥)»، ويأتيهم الرد في سرعة باهرة في تهديد قاطع أنهم سيلقون عاقبة افتراءهم يوم القيامة: «(القمر: ٢٦)»، ولا ينبغي للنبي أن يياس أو يضجر أو يتولى عنهم فلا يدعوهم.

وقال الله تعالى: «(الأنعام: ٣٣-٣٥)».

وقال تعالى: **فَإِذَا كُذِّبُوا فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ**
(الأنعام: ١٤٧).

وهكذا أذوا النبي صلى الله عليه وسلم بكل
اللقاب السوء والسخرية، ولم يقتصروا على ذلك
فحسب بل أذوه بالأذى القملي.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضياء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ
بمئكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه
في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر
رضي الله عنه فأخذ بمئكبي عدو الله ودفعه
عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقال: **أَنْتُمْ لَنْ تَقْتُلُوهُ**
رَبِّلَا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ.
(غافر: ٢٨).

ولما اشتد به الأذى صلى الله عليه وسلم من
قومه خرج إلى الطائف رجاء أن يؤوه ويمنعوه من
قومه، فلقي منهم أشد ما يلقي من أذى، وقالوا:
أخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم يقضون له
في الطريق ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه،
وشج رأسه.

وعن عائشة رضي الله عنها. أنها قالت: يا رسول
الله! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟
فقال: (لقد لقيت من قومك، فكان أشد ما لقيت
منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد
يأليل بن كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت
وأنا مهموم، على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن
الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني
فقطرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله
قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك
ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم). قال: (فناداني
ملك الجبال، فسلم علي ثم قال، يا محمد! إن الله
قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني
ربك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئت أن أطبق عليهم
الأخشبين) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم:
(بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله
وحده، ولا يشرك به شيئاً). **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ**.

ولم يجد صلى الله عليه وسلم في أحب البلاد
إليه ملجأ من الله إلا إليه، وصار ينظر أيمن منه
فلا يرى إلا عدواً متربصاً، وينظر أيسر منه فلا

يرى إلا نصيراً ضعيفاً، وينظر ورائه فلا يرى
سهماً مصوبة على ظهره، وينظر أمامه فلا يرى
إلا هزواً وسخرية تتقيؤها أهواؤه، وأشواكا وحجارة
موضوعة في طريقة، فنظر إلى السماء فوجد
الرجاء كله، نوراً يمزق ركام الظلام الذي يحيط
بمكة وما حولها، فتوجه إلى الله يسأله أن يجعل
له ولأصحابه المستضعفين فرجاً ومخرجاً، وهو
صلى الله عليه وسلم يرى أصحابه تهوي بهم
قطع العذاب، وتاكل أجسادهم سياط العذاب،
وقد امتد حبل هذا السلوك الشائن إلى المدينة
بعد الهجرة، فامسك المنافقون به بعد إفلاته
من يد المشركين في مكة، وجعلوا يسخرون سراً -
وجهره أحياناً - من الرسول صلى الله عليه وسلم
وأصحابه، لا يحجزهم فرع من عذاب، ولا حرمة
لجوار، فتشابه السلوكان والتقيا على طريق
واحدة، ويصعد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد
رحلة في الزمن، دامت ثلاثة وستين عاماً، حمل
فيها هم الدعوة والأمة - وما أثقله حملاً - ويجتاز
قنطرة الحياة، وهو أسعد ما يكون حالاً، وأرضى
ما يكون نفساً، أن خلف وراءه جيلاً من الحواريين،
وساروا على أحسن ما كان عليه في حياته صلى الله
عليه وسلم، فاستحقوا منه الثناء كله والتحذير
للتاس أن ينالوا من واحد منهم ولو بكلمة.

قال صلى الله عليه وسلم: **«لا تسبوا أصحابي،**
فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد
ذهباً، ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه». (مختصر
مسلم، ١٧٤٦).

إذن فكل داعية لا بد أن يناله أذى ولكن عليه
أن يصبر وأن يستمر حتى يفتح الله له، وليس
من الضروري أن يفتح الله له في حياته، بل المهم
أن تبقى دعوته بين الناس ناصعة متبوعة،
ليس المهم الشخص ولكن المهم الدعوة. قال الله
تعالى: **«وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَأْمُورًا فَعَلْهُ نَفْسًا وَرَأْيًا**
يَوْمَ الْقَائِلِ كُنْ مُثَلًّا فِي الْفُلْكِ لَيْسَ بِجَارِجٍ مِنْهَا»
(الأنعام: ١٢٢).

ففي الحقيقة أن حياة الداعية ليس معناها أن
تبقى روحه في جسمه فقط، بل أن تبقى مقالته
حية بين الناس، اللهم صبرنا على العلم والعمل
والدعوة إليك، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

الصلوة على رسول الله في الصلاة



بسم الله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

د. حمدي طه

إعداد

أولاً: مشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

- اعلم أخي القارئ أنه لا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، للأمر بها، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» قال ابن كثير في تفسير الآية: المقصود من هذه الآية: أن الله - سبحانه وتعالى - أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة: بأنه يُثَنِّي عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر جل شأنه بالصلاة والتسليم عليه: لِيَجْتَمَعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِينَ، السُّفْلِيِّ وَالْعُلَوِيِّ جَمِيعًا. (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٤٥٨).

وقد جاءت الأجداد المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصلاة عليه، وكيفية الصلاة عليه منها: ما روى البخاري عند تفسير هذه الآية عن كعب بن عجرة قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف

نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد (صحيح البخاري باب قوله «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»).

ثانياً: موضع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة:

ليس في النصوص التي بين أيدينا نص واحد معتبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صحيح أو حسن يدل على تحديد مكان أو موضع الصلاة الإبراهيمية للصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة. أما ما درج عليه المسلمون من قول هذه الصلاة عقب التشهد الأخير، وأن كلمتهم قد اتفقت على ذلك، فإنه أمر نقل إلينا عملياً جيلاً عن جيل، فكان ذلك متواتراً. (الجامع لأحكام الصلاة لمحمود عويضة ٢/٢٨٥ بتصرف).

أما الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - في التشهد الأول فلم يتفق على

مشروعيتها لا نظرياً ولا عملياً وقد اختلفوا فيه فهي سنة في القول الجديد للشافعي فقد قال رحمه الله في الأم، يصلي على النبي في التشهد الأول لكنه يستحب وليس بواجب، وقال في القديم لا يزيد على التشهد أما الحنفية، والمالكية فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول ليس بمشروع عندهم، وبه قال الحنابلة، (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧/٢٣٧ بتصرف)، وسأتي تفصيل ذلك عند الكلام علي حكم الصلاة علي النبي- صلى الله عليه وسلم - في الصلاة. أما الصلاة علي النبي- صلى الله عليه وسلم - في الصلاة. عند الدعاء فقد قال العلامة ابن قيم الجوزية: «له ثلاث مراتب: إحداها: أن يصلي عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله تعالى.

والمرتبة الثانية: أن يصلي عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره.

والثالثة أن يصلي عليه في أوله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما.

فأما المرتبة الأولى: فالدليل عليها حديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته لم يمجّد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجل هذا) ثم دعاه فقال له أو غيره: (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شاء) رواه أحمد برقم ٢٣٩٨٢ وإسناده صحيح (جلاء الأفهام- ابن قيم الجوزية ١/ ٣٧٥ بتصرف).

قلت: وأما المرتبة الثانية والثالثة: فلم يأت العلامة ابن القيم بحديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل لما ذهب.

أما الصلاة علي النبي الصلاة عليه آخر القنوت في الوتر استحبه الشافعي ومن وافقه واحتجوا بحديث ضعيف ولذلك قال العز بن عبد السلام في «الفتاوى»: «ولم تصح الصلاة

على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في القنوت ولا ينبغي أن يزداد على صلاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيء، وهذا هو الحق الذي يشهد به كل من علم كمال الشريعة وتامها وأنه (صلى الله عليه وسلم) ما ترك شيئاً يقربنا إلى الله إلا وأمرنا به. قلت: ثم أطلعت على بعض الآثار الثابتة عن بعض الصحابة وفيها صلاتهم على النبي (صلى الله عليه وسلم) في آخر قنوت الوتر فقلت بمشروعية ذلك وسجلته في «تلخيص صفة الصلاة» (إرواء الغليل الألباني ١٧٧/٢).

وهو مستحب في قنوت رمضان ولا بأس من جعل القنوت بعد الركوع ومن الزيادة عليه بلعن الكفرة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء للمسلمين في النصف الثاني من رمضان ثبت ذلك عن الأئمة في عهد عمر رضي الله عنه فقد جاء في آخر حديث عبد الرحمن بن عبد القاري (وكانوا يلعنون الكفرة في النصف: اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك ولا يؤمنون بوعدك وخالف بين كلمتهم وألق في قلوبهم الرعب وألق عليهم رجزك وعذابك إله الحق)، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمسلمين بما استطاع من خير ثم يستغفر للمؤمنين (قيام رمضان- الألباني ص ٢٣).

وقد ساق العلامة ابن قيم الجوزية المواطن التي يستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فأوصلها إلى واحد وأربعين موطناً ذكر ما صح منها أو قارب دون تفصيل،

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعند الخروج منه الصلاة على النبي عند ذكره صلى الله عليه وسلم.

الصلاة عليه عند كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم.

الصلاة على النبي عند الوقوف على قبره صلى الله عليه وسلم.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل موطن يجتمع فيه لذكر الله تعالى. الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند تبليغ العلم إلى الناس عند التذكير والقصص والقاء الدرس وتعليم العلم في أول ذلك وآخره.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا والمروة وهذا من توابع الدعاء. الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الفراغ من التلبية وهذا أيضا من توابع الدعاء.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند استلام الحجر.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند اجتماع القوم قبل تفرقهم.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج الإنسان إلى السوق أو إلى دعوة أو نحوها.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام الرجل من نوم الليل.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الهم والشدائد وطلب المغفرة (جلاء الأفهام- ابن قيم الجوزية ٣٢٧/١ وما بعدها بتصرف).

ثالثا: كيفية الصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم في الصلاة

ليست للصلاة على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- صيغة واحدة يجب الالتزام بها، ذلك أنه زويت عدة صيغ لهذه الصلاة منسوبة لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- من طرق عدة عن صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، بل وردت عدة صيغ من طريق الصحابي الواحد، وهذه الطرق صحيحة وحسنة صالحة للاستدلال. كل صيغة منها تجزئ وتكفي، فالمسلم بالخيار بين أي من هذه الصيغ.

ويستحب أن يستخدم هذه الصيغ

تباعاً مع الوقت إن أمكنه ذلك. لصيب أجر تطبيق السنة في عمومها.

وسنبدأ بذكر الصيغ التي اتفق على روايتها الشيخان البخاري ومسلم.

من حديث ابن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدى لك هدية خرج علينا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك. فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد». رواه البخاري باب قوله «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً»، ومسلم باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد وأحمد برقم ١٨١٣٠، وزاد البخاري لفظ «علي إبراهيم» في الجملة في رواية أخرى.

ويلفظ البخاري الأخير أخرجه النسائي من حديث طلحة بن عبيد الله قال: قلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

٧- من حديث أبي حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال: «قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد وذريته كما صليت على آل إبراهيم. وبارك على محمد وآل محمد وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد». رواه البخاري باب قوله «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً»، ومسلم باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد وزاد مسلم في روايته لفظ «علي»

قبل ذرئته

وهذه جملة من الصيغ الماثورة الأخرى التي وردت ولم يتفق على إخراجها البخاري ومسلم أو لم يخرجها،

عن أبي سعيد الخدري قال، قلنا يا رسول الله هذا التسليم فكيف نصلي عليك قال (قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم). قال أبو صالح عن الليث على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم والذراوردي عن يزيد وقال كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم) (رواه البخاري باب قوله «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً» وأحمد برقم ١١٤٥١).

4- عن أبي مسعود الأنصاري قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عباد فقال له بشير بن سعد أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم. رواه مسلم باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد

ولأحمد في لفظ آخر نحوه وفيه: (فكيف نصلي عليك إذا نحن صلياً في صلاتنا). ورواه أحمد بلفظ (فقولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) برقم ١٧١١٣. وزاد أبو داود فذكر معنى حديث كعب

بن عجرة زاد في آخره: في العالمين إنك حميد مجيد.

5- عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول (اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل بيته وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) (رواه أحمد برقم ٢٣٢٢١ وجهالة الصحابي هنا لا تضر لأن الصحابة كلهم ثقات عدول. وهذه الصيغة أشمل وأطول صيغة في صيغ الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم).

وإذا كان الاختيار بين الصيغ السابقة جائز فهذا لا ينافي تفضيل بعض هذه الصيغ. فقد يكون التفضيل بالإسناد والأخذ بأقوى هذه الصيغ من حيث الإسناد. وهي بلا شك ما اتفق على روايتها الشيخان البخاري ومسلم. وقد اتفق الشيخان على الصيغتين الأوليين من هذه الصيغ العديدة فالأولى اختيار واحدة من هاتين الصيغتين. وقد يكون التفضيل بحسب جهة التبليغ قال العلامة الألباني، وأعلم أن النوع الأول من صيغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم - يشير إلى حديث أبي حميد الساعدي - وكذا النوع الرابع - يشير إلى حديث أبي مسعود الأنصاري - هو ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه لما سأله عن كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (قلت: وكذلك حديث كعب بن عجرة وحديث أبي سعيد الخدري فقد وردت فيهما صيغة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على جهة التعليم)، وقد استدلل بذلك على أنها أفضل الكيفيات في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لأنه لا يختار لهم - ولا لنفسه - إلا الأشرف والأفضل (صفة الصلاة)، وقد يكون التفضيل بأكثرها اشتمالاً على الألفاظ فتكون الصيغة الأخيرة أفضل من هذا الوجه.

وللحديث بقية إن شاء الله.

تذكير المسلمين بأهمية قضاء الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد،

ما أريد أن أذكركم عن أمر الدين، وما أريد أن أذكركم عن أهمية قضاء الدين، وأهمية التوفيق،

المستشار أحمد السيد علي

إعداد/

فقال الأعرابي: واغدرأه،
فنهمة الناس وقالوا، قاتلك
الله أيغدر رسول الله صلى
الله عليه وسلم؟ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم:
دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ
مَقَالًا، فَرَدَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ
ثَلَاثًا، فَلَمَّا رَأَى لَا يَقْبُضُهُ عَنْهُ
قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: اذْهَبْ
إِلَى خَوْلَةٍ بِنْتِ حَكِيمِ بْنِ أُمِيَّةٍ
فَقُلْ لَهَا: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ
عِنْدَكَ سَقٌّ مِنْ تَمَرِ الذُّخْرَةِ
فَاسْلُقِينَاهُ حَتَّى تُوَدِّيَهُ إِلَيْكَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا
الرَّجُلُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: قَالَتْ:
نَعَمْ، هُوَ عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ،
فَابْعَثْ مَنْ يَقْبُضُهُ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِلرَّجُلِ: اذْهَبْ
بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِي
لَهُ، قَالَ: فَذَهَبَ
بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِي لَهُ،
قَالَتْ: هُمُ الْأَعْرَابِيُّ
بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: يَا
عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّا قَدْ ابْتَعْنَا مِنْكَ
جُزُورًا - أَوْ جَزَائِرَ - بَوَسَقٍ مِنْ
تَمَرِ الذُّخْرَةِ، فَالْتِمَسْنَاهُ فَلَمْ
نَجِدْهُ، قَالَ: فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ:
وَاعْدِرْأَهُ، قَالَتْ: هُمُ النَّاسُ
وَقَالُوا: قَاتِلْكَ اللَّهُ، أَيَغْدِرُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ،
فَأَنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، ثُمَّ
عَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّا
ابْتَعْنَا مِنْكَ جُزَائِرَ وَنَحْنُ
نَنْظُرُ أَنْ عِنْدَنَا مَا سَمَّيْنَا لَكَ،
فَالْتِمَسْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ،

الوقفه السابعة: بعض آداب
قضاء الديون،

جاءت الشريعة بمحاسن
الآداب في جميع المجالات،
ومنها قضاء الديون، فحثت
على جملة من الآداب منها:
أمر الدائن بحسن الطلب،
عن عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم:
«مَنْ طَالَبَ حَقًّا فَلْيُطْلَبْهُ فِي
عِصَافٍ وَافٍ أَوْ غَيْرِ وَافٍ،
(رواه ابن ماجه وصححه
الألباني).

الترفق بالدائن

أن لصاحب الحق مقالا:

عن عائشة رضي الله عنها
قالت: «ابْتَاعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ
الْأَعْرَابِ جُزُورًا - أَوْ جَزَائِرَ -
بَوَسَقٍ مِنْ تَمَرِ الذُّخْرَةِ
(وَتَمَرِ الذُّخْرَةِ:
العجوة)، فَرَجَعَ بِهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِهِ
وَالْتَمَسَ لَهُ التَّمَرَ فَلَمْ يَجِدْهُ،
فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى



أصحابه، فقال: جزاك الله خيراً، فقد أوفيت وأطيبت، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك خير أعباد الله عند الله يوم القيامة، المؤمنون المطيبون، رواه أحمد وحسنه الألباني).

فانظر - راعاك الله - كيف ترفق النبي صلى الله عليه وسلم بالداث ونهى أصحابه عن سبه، مبيناً لهم أن لصاحب الحق مقالاً.

جاء السلف الحمد والأداء:

عن عبد الله بن ربيعة رضي الله عنه قال: «استقرض مني النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفاً، فجاءه مال، فدفعه إليه، وقال: بآرك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف، الحمد والأداء»، (رواه الترمذي وصححه الألباني).

الوقفة الثامنة: المفاضلة بين قضاء الدين وغيره،

كثير من المدينين لا يعلمون فقه أداء الدين، فتراهم يتساهلون في قضاء ديونهم فيؤخرونها حيث يحرم التأخير، ظناً منهم أن هذا جائز، أو يقدمونها حيث لا يجوز التقديم، ويعود هذا إلى عدم التفرقة بين

الواجب والأوجب منه، والواجب وغير الواجب، وذلك على التفصيل الآتي:

١- قضاء الدين

والضروريات،

الضروريات، هي النفقات

الضرورية التي لا قوام للأسرة إلا بها، كالطعام والشراب واللباس والسكن، فلا بد له من بيت يسكنه يواريه عن أعين الناس ويجعله في أمن من العادين والباغين، وطعام يحفظ به نفسه، وملبس للصيف والشتاء، وعلاج يحفظ به نفسه، وقد تتضمن أموراً أخرى لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا.

فإذا كان للإنسان مال يكفيه حاجاته الأساسية له ومن يعول، وفي قضاء دينه، فتقدم حاجاته الأساسية على قضاء دينه، فإن بقي شيء بعد الإنفاق على حاجاته الأساسية له ومن يعول، قضى دينه كله، أو بعضه.

والعلة في ذلك أن ضروريات الإنسان واجبة وقضاء الدين واجب، إلا أن ترك الضروريات يترتب عليه مفسدة عظيمة، ودرء المفسد مقدم على جلب المصالح، فيقدم الإنفاق على الضروريات على قضاء الدين.



٢- قضاء الدين والحاجيات والكماليات،

الحاجيات، وهي التي تسهم في جعل الحياة أكثر راحة وتيسيراً، ومن البديهي أنها تأتي بعد استكمال المصروفات الضرورية.

الكماليات، وهي النفقات الزائدة عن حدود الضروريات والحاجيات، والإنفاق في هذه الأمور ليس واجباً، ومن ثم فإن الواجب تقديم قضاء الدين على الإنفاق عليها، وكثير من الناس تنزل أقدامهم في هذه المسألة.

١- القناعة

فإن المسلم لو قنع بحاله ومستوى معيشته، وعيشة الكفاف لا له ولا عليه، حتى لو كانت بسيطة جداً لم يتطلب أكثر من ذلك، ولجلت له هذه القناعة مشكلة الاستدانة، ولما لجأ إلى الدين، لكن الناس لا يقنعون، فينتظرون إلى من فوقهم في المعيشة، والرسول صلى الله عليه وسلم يطلب من المسلم أن ينظر إلى من دونه في المعيشة، وإنما ينظر إلى من هو أعلى منه في الدين والورع والعبادة والتقوى، إذا أردت أن تنظر إلى الأعلى فانظر إلى صاحب الدين، وفي المعيشة تنظر إلى من هو أسفل منك حتى تحصل عندك القناعة، فلا تفتن وتتهتم، وتلجأ إلى الدين.

٢- الرهبة في الدنيا،

وكذلك من الأمور المهمة،

مفهوم الزهد في الدنيا، فلو زهد الإنسان في الدنيا ومتاعها، وزينتها، لما شعر بالدافع إلى التزود فيستدين، ولكن قد تقع الاستدانة لضرورة في مثل علاج ضروري لا يملك قيمته، أو مسكن وأثاث لطالب زواج يريد أن يعف نفسه، وهو يخشى على نفسه العنت والوقوع في الحرام، فلا يستطيع الزواج من المهر والتأثيث إلا بالاستدانة، هنا تكون استدائنه وجيبة، ومع ذلك لا ينسى الوفاء، والبحث عن تجارات طيبة، أو صفقات فورية حلال يسدّد بها دينه والله قد تكفل لمن يريد الوفاء بصدق أن يعينه.

الوقفة العاشرة:

أدعية قضاء الدين:

المسلم مأمور بالأخذ بالأسباب وعدم الاعتقاد فيها، وعدم تركها، ومن أعظم الأسباب، الأسباب الشرعية، وأعظمها الدعاء، فهذه جملة من الأدعية الخاصة بقضاء الدين، والعامة بتفريج الكرب، التي تعين على قضاء الدين:

١- عن أبي سعيد الخدري

رضي الله عنه قال:

«دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا

هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ

يُقَالُ لَهُ أَبُو أَمَامَةَ، فَقَالَ: يَا

أَبَا أَمَامَةَ! مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي

الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: هُمُومٌ لَزِمْتَنِي، وَدَيُّونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا، إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ، أَذْهَبَ اللَّهُ هَمُّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَبَنِ وَالْبَخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي» (أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَضَعْفَهُ الْأَلْبَانِيُّ)

٢- عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ مَكَاتِبًا جَاءَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي عَجِزْتُ عَنْ مَكَاتِبِي فَأَعِنِّي، فَقَالَ: أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمْنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ ضَبِيرٍ دَيْنًا، أَذَاهُ اللَّهُ عَنْكَ قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِخَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَنْ سُوءِكَ» (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ)



وحسنه الألباني).

٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذٍ: «أَلَا أَعْلَمُكَ دَعَاءً تَدْعُو بِهِ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ أَخَذَ دَيْنًا لِأَذَاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قُلْ يَا مُعَاذُ: «اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمَلِكِ تَوَلَّى الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنَزَعَ الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ، وَتَعَزَّ مَنْ تَشَاءُ، وَتَذَلَّ مَنْ تَشَاءُ، بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَحِمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمُهُمَا، تُعْطِيهِمَا مَنْ تَشَاءُ، وَتَقْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تَغْنِيَنِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ» (أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

الوقفة العادية عشر:

أثر الموت في قضاء الدين:

قال الشيخ وليد عكاس علي سيد، في رسالته للماجستير «قُرَّةُ الْعَيْنِ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ»: «دَلَّتِ الْأَحَادِيثُ عَلَى التَّشْدِيدِ فِي أَمْرِ الدِّينِ، وَأَنَّ نَفْسَ الْمَدِينِ مَحْبُوسَةٌ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَمَرْتَهَنَةٌ بِهَذَا الدِّينِ حَتَّى يَقْضَى عَنْهُ دَيْنُهُ، وَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْمَوْتَ لَا يُوَثِّرُ فِي سَقُوطِ مَا عَلَى الْمَدِينِ بِالنِّسْبَةِ لِأَحْكَامِ الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الدِّينُ بَاقِيًا فِي ذِمَّتِهِ حَتَّى يَقْضَى عَنْهُ، وَلَهَا حَالَتَانِ:

أ. مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ وَخَلَفَ وَفَاءً، فَإِنَّهُ لَا وَرَرَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَقْضَ عَنْهُ

بعد موته ، لأن التقصير حينئذ يكون من الوصي أو من الورثة ، حيث إن جميع ما عليه من دين يتعلق أداؤه بتركته ، ويستثنى من ذلك إذا فرط المدين الميت بالوصية بسداد ديونه وكتابتها ونحو ذلك ، بحيث أن الورثة أو الوصي لم يهتدوا إلى هذه الديون ، خصوصاً إذا لم يكن لدائنيه بينة على الدين ، فإن هذا لا يعفيه أمام هذه الحقوق .

فعن سعد بن الأطول رضي الله عنه : « أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم ، وترك عيالاً ، قال : فأردت أن أنفقها على عياله ، قال : فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : إن أخاك محبسٌ يدينه فاهذب فاقض عنه ، فذهبت فقضيت عنه ، ثم جئت قلت : يا رسول الله ، قد قضيت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة ، وليس لها بينة ، قال : أعطها فإنها محقة ، وفي رواية : صادقة . (رواه أحمد وصححه الألباني) .

ب . من مات وعليه دين ولم يخلف وفاء فلها صورتان ، **الصورة الأولى :** إذا كان الدين في معصية أو بنية عدم الوفاء . فإنه مؤاخذ عنه يوم القيامة ، لأنه غير معذور بالاستدانة ، ولأنه قصد استهلاك مال مسلم بغير وجه حق ، وهذا من أكل أموال الناس بالباطل .

الصورة الثانية : إذا كان الدين

في مباح وبنية الوفاء ، فمن مات قبل الوفاء من غير تقصير منه ، فإن الله عز وجل يقضي عنه دينه يوم القيامة فيعوض دائنيه فضلاً منه وتكرماً ، وأما المدين فلا مؤاخذة عليه لعدم تقصيره أو تضريطه .

قال ابن حجر : « من مات قبل الوفاء بغير تقصير منه كان يُعسر مثلاً ... وكانت نيته وفاء دينه ، ولم يوف عنه في الدنيا ... الظاهر أنه لا تبعة عليه والحالة هذه في الآخرة ، بحيث يؤخذ من حسناته لصاحب الدين ، بل يتكفل الله عنه لصاحب الدين ، اهـ .

الوقف الثانية عشر :

سداد الدين في حالة وفاة المدين :

إذا مات المدين ولم يخلف مالا لسداد دينه ، فيستحب لورثته قضاء دينه :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : إن أختي نذرت أن تحج وإنها ماتت ، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : « لو كان عليها دينٌ أكنت قاضيه ؟ قال : نعم ، قال : « فاقض الله ، فهو أحق بالقضاء » (أخرجه البخاري ومسلم) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! إن أُمِّي ماتت وعليها صوم شهر ، أفأقضيه عنها ؟ فقال : « رأيت لو كان على أمك دينٌ ، أكنت قاضيه عنها ؟ » قال : نعم ، قال : « فدين الله أحق أن يقضى » (متفق عليه) .

فإن لم عاجزوا فإن وفاء دين الميت يكون من بيت مال المسلمين ، وولي الأمر وولي لا ولي له ، وولي من لا وفاء له فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن مات وعليه دينٌ ولم يترك وفاءً فقلينا قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته » (أخرجه البخاري) .

وفي النهاية : لعل أكون قد أبرزت للقارئ الكريم أهمية المسارعة إلى قضاء الديون ، للسلامة في الدنيا والآخرة ، فعلى كل مسلم أن يحرص على هذا ، والله أسأل أن يعين المسلمين المدينين على قضاء ديونهم ، وأن يفتنا بحلاله عن حرامه ، وأن يكفنا بفضله عن سواه ، آمين .





جَمَاعَةُ أَنْصَارِ السَّنَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

انعقاد الجمعية العمومية العادية بالمركز العام

اجتمع مجلس إدارة المركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية بتاريخ ٣١ يناير ٢٠١٦م بالمركز العام (٨ ش قوله- عابدين)، وقد قرر المجلس دعوة الجمعية العمومية العادية للانعقاد عقب صلاة الظهر في الساعة الواحدة ظهراً يوم السبت ٢ أبريل ٢٠١٦م للنظر في جدول الأعمال التالية:

- ١- مناقشة تقرير مجلس الإدارة عن عام ٢٠١٥م.
- ٢- عرض حسابات الإيرادات والمصروفات والميزانية العمومية لعام ٢٠١٥م.
- ٣- تعيين مراقب الحسابات عن عام ٢٠١٦م، وتحديد أتعابه.
- ٤- عرض الميزانية المقترحة لعام ٢٠١٦م.
- ٦- ما يُستجد من أعمال.

والله الموفق والمستعان.

الأمين العام

د. مرزوق محمد مرزوق

٠١١٢٠٠٠٥٥٧٥_٠١٠٠٠٠٤٠٦٦٠

معرض مجلات مجلة التوحيد

بشرى سارة

مفاجأة كبرى

موسوعة مجلة التوحيد (كترتونة المجلات ٤٤ سنة كاملة بـ ٥٥ جنيهاً بدلاً من ٨٥ جنيهاً)

مفاجأة:

- يمكنك الدفع عند الاستلام
- عن طريق مكتب الشحن
- وبمكثك الشراء وإرسال الكترتونة على عنوانك عن طريق مكتب الشحن



مفاجأة:

- اشترى لك سنة مجاناً
- بمجلة التوحيد على الإنترنت الموسوعة
- الكمية محدودة والعرض سار حتى نهاية الكمية

٤٤ عاماً

المعرض مفتوح يومياً بالدور السابع بالمجلة

٤٤ مجلداً

مصدر حديثاً المجلد الجديد لعام ١٤٣٦ هـ

للاستفسار يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد: 23936517